

# في رَحَابِ البَيْتِ

تأليف  
محمد عبد الرحمن عبد اللطيف

الطبعة الخامسة - العدد الثاني والستون

شهر صفر ١٣٩٣ هـ - مارس ٢٠٧٢ م



# في رَحَابِ السَّيِّرة

تأليف

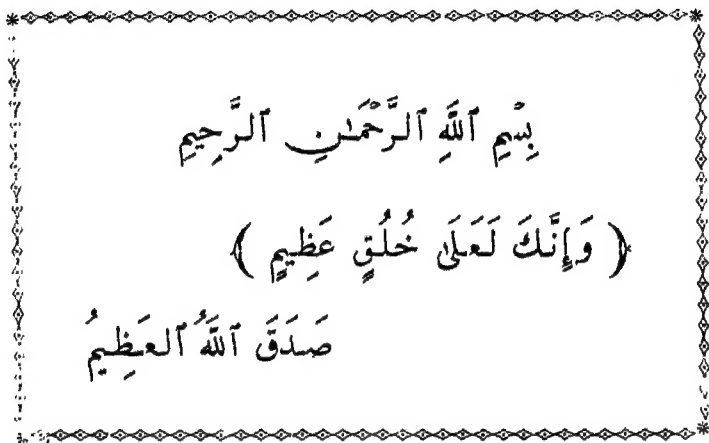
محمد عبد الرحمن عبد اللطيف

القاهرة

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م







# تقديم

لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بديصار  
الأمين العام لجميع الجماعات الإسلامية

---

الحمد لله رب العالمين ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره  
على الدين كله ، وصلواته وسلامه على سيدنا رسول الله ، محمد بن  
عبد الله ، خاتم المرسلين ، وإمام النبيين ، أقام الله به الحجة ، وهدى  
إلى المحجة ، ورضى الله عن صحابته أجمعين ، ومن تبع هداهم إلى يوم  
الدين .

## وبعد :

فع دورة الفلك مشرقة بذكرى مولد الرسول الكريم ، تفيض  
خواطر الباحثين والكتاب مستلهمة تلك الذكرى العطرة فتحلق في  
الآفاق الرحاب للرسالة والرسول صلوات الله وسلامه عليه .

ومن حق الذكرى الجليلة على البشر في مشرق الأرض ومغربها أن  
يتلقوها بما هي أهل له من الإجلال والإكبار ، فقبل مولد خاتم المرسلين  
كان العالم كله يزرع تحت أثقال العبودية في شتى صورها ، وينوء  
بأوزار الاستغلال في كل أبعاده ، ومع دعوة سيدنا محمد بن عبد الله

انداحت الأفتال : وتحطمت الأغلال ، وعرف البشر طريقهم إلى حقوق الإنسان . حرية وعدالة ومساواة .

ولذا كانت هناك هيئات تزعم لنفسها ابتداع هذه الحقوق فلما تؤكد وملء قلوبنا اليقين أنه ليست هناك وثيقة أكرم وأجل من تلك التي قدمها القرآن الحيد منذ أربعة عشر قرنا في قول الله الصريح .

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ) . . .

وقد أعلنها صلوات الله وسلامه عليه في خطبة الوداع التي لا يزال صداها يجلجل في سمع الزمن : ( أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى ) .

ولذا كان من حق الذكرى الجليلة على البشر في مشرق الأرض ومغربها أن يتلقوها بما هي أهل له من الإجلال والإكبار ، فأحرى بالمسلمين أن يكونوا على مستوى الذكرى ابتهاجا في الساوك ، وتطبيقا في شئون الحياة ، حتى يكونوا النموذج والمثال ، وأحرى بالشاردين منهم أن يثوبوا إلى الرشاد ، ففي الإسلام عقيدة وشرعة خير ما يربى الحياة ويثريها .

وكتاب ( في رحاب السيرة ) لمؤلفه الأستاذ محمد عبد الرحمن عبداللطيف تحويمات في الآفاق الرحاب للسيرة النبوية الشريفة، وللاذكرى



— ٧ —

العطرة تحية ووفاء : وهدهدة ،شاعر عليها توقظ الغافلين ، وتزيد المؤمنين إيماناً .

وصدق الحق جل وعلا إذ يقول :

( وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ) .  
أعاد الله أمثال هذه الذكرى على المسلمين بالخير العميم والنصر المؤزر .

والله الموفق والهادى إلى أقوم سبيل .

دكتور محمد عبد الرحمن بيصار  
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

---



## رأى

---

قال تعالى :

( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ )<sup>(١)</sup> .

إن محاولة إخضاع السيرة النبوية لأساليب التحليل والدراسة الحديثة ومناهج البحث المستوردة هي في رأيي محاولات عقيمة من وجهة النظر الروحية التي يجب أن تقرأ بها السيرة .

فهذه الأساليب قد تجدى في الموضوعات ذات الطابع المادى والبشرى ، أما السيرة صاحبها نبي أرسله الله بخاتمة الديانات وجعله هاديا ومبشرا وسراجا منيرا فالأمر هنا يختلف كل الاختلاف ، فلا نستطيع أن نخضع أسلوب نبوة وعقيدة سماء إلى تحليل ودراسة علمية أشبه بتحليل ألوان الطيف وترتيبها ، أو أن نخضعها إلى منهج من مناهج البحث الحديثة .

---

( ١ ) الآية ٢ من سورة محمد .

وهذا لايعنى أننا ندعو إلى التسليم المطلق بكل ماورد في كتب السيرة دون تمحيص ودون روية .  
ولكننى أريد أن أقول :

إن السيرة النبوية فيها مجالات كثيرة ، لايمكن لبشر أن يضعها موضع البحث والتحليل ، أو يدرسها دراسة علمية تدعو إلى التساؤل [ والحيرة بين الأخذ بها أو رفضها .

لأننا في مجال سيرة نبي ورسول، ولسنا في مجال الترجمة لقائد أوزعيم استحدث فكرة أو أتى بنظام جديد لأمته ، بحيث نسمع ونحن نبحت سيرته ونعرض لأسلوب كفاحه أن نخضع فكرته ونظامه إلى مناهج البحث المختلفة .

المجال هنا بعيد جداً عن متناول أفكارنا البشرية . .  
ويجب في مثل هذه القضايا أن يكون الحذر رائدنا قبل أن نخط في السيرة النبوية حرفاً واحداً ، وإلا فسيكون نتائجنا أشبه شيء بنتائج المستشرقين الحاقدين :

ولإنما مجال البحث والتحليل — ونحن نكتب السيرة مؤمنين بها — هو الموضوعات المادية والعلمية التي نخدم السيرة ولا تمسها :  
وكمثال لذلك : زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من واحدة .  
فهذا الموضوع يحتاج إلى دراسة علمية وطبية حديثة ، ندفع بها آراء المستشرقين في هذه القضية، لنثبت أسباب هذا الزواج الحقيقية ،

وأنه لدواعى دينية وسياسية واجتماعية ، ولم يكن أبدا لدواعى بدنية  
أوبشرية كما يحلو للبعض أن يعلل تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم .  
وهكذا نخدم السيرة ولا نخدشها .

ونرد على آراء المستشرقين بدفاع علمي حديث .  
وموضوع كالأسراء والمعراج .

موضوع ديني بحث ، لا يمكن أن نخضعه لمناهج البحث العلمى .  
ولكن نلمس زواياه الروحانية ، ونحاول أن نثبت عدم استحالة  
حدوثه ، ونخدم الواقعة ولا نشك فيها ، وخاصة والإنسان نفسه بعلمه  
المادى دار حول الأرض ، وأرسل صواريخه تدور حول القمر وتصل  
إليه ، وأرسل سفن الفضاء ، التى يخرج ركبها فى الفضاء الكونى  
يسبحون فيه بأجسامهم ، ويشاهدون بعضا من آيات الله تعالى .

وجوانب العظمة النفسية والروحية فى حياة الرسول الكريم كثيرة  
ومتعددة تشهد بها مواقفه الكثيرة ، وتشهد بها آيات القرآن الكريم .

وفرق كبير بين أن تكتب وأنت مؤمن ، وبين أن تكتب وفحيح  
الشك يملأ قلمك بالهلع والذعر والتردد ، فالإيمان المطلق بسيرة النبي  
وجوانب عظمتها المتعددة هو المفتاح الحقيقى لفهم السيرة وهضم العقيدة .

ودراسة السيرة تحتاج إلى دراسة القرآن الكريم أولا ، ثم دراسة  
الحديث النبوى ، ثم مطابقة كتب السيرة ، واستنباط ما أجمعت عليه  
مصادرها الصحيحة .

والقرآن رائدنا في هذا المجال . . .

نحول مع آياته المحكمات لنرى إلى أى مدى سترفع بنا وبسلوكنا إلى أرقى المعارج .

ولست أرى رأى البعض الذين يقفون في بحمهم للسيرة عند المنهج العلمى البحت ، وبهذا تقتصر دراسة السيرة والتمتع بها على الخاصة وحدهم .

ومن هنا تحدث الحفوة بين الدين بمفاهيمه الصحيحة ومثله ومبادئه السامية وبين ما نراول في حياتنا .

ومن هنا أيضا تكون سهولة التأثير بشطط الحديث والروايات والانحرافات والانحرافات باسم الدين .

فهذا الجفاف في تناول السيرة هو الذى دفعنى إلى نهج هذا الأسلوب الذى كتبت به هذا الكتاب .

وأوثق مصادر السيرة هو كتاب الله الكريم .

فإليه لجأت استعين بآياته ومواقف وأسباب النزول ، لتلهمنى وضوح الرؤية وجللاء البصيرة .

وتناول السيرة بالروحانية التى قد تبدو ساذجة في نظر الكثيرين هى من أسباب إحيائها المستمر .

ذلك أن الدراسة العلمية الجافة تكون دائما بعيدة عن ذهن الكثيرين من أفراد القاعدة العريضة لأمة الإسلام .

وليس من المعقول ولا من المفروض أن يكون جميع المسلمين على درجة عالية من العلم والفقه ، بحيث يمكن لهم أن يغوصوا في مطابقات الروايات والأحاديث .

فتناول السيرة بروحانية سهلة شفافة بعيدة عن تعقيدات العلم في نفس الوقت الذي نحتفظ فيه بحقائق الرواية وحسن العرض هو إحياء رائع لهذه السيرة العطرة .

وينضوى تحت ذلك كل ما هو معروف بالقصص الديني الوارد في الكثير من كتب السيرة أوفى قصائد المديح النبوي .

فذلك فيه إحياء للسيرة بطريقة قد تلائم أمزجة الكثيرين من المسلمين .  
وتساعد على استمرار الرواية ، هذا بجوار البحث المفصل لأصحاب الثقافات في هذا المجال لكي تبقى حدود السيرة في إطار روعتها .

وحصيلة ذلك إيمان كامل بهذه الصور المشرقة الجميلة الصافية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحياته كانت صورة مشرقة للوجود كله . . .

أما أن نخضع هذه الصورة لأفكارنا البشرية المادية العصرية القاصرة أمام عظمتها النبوية ، ولا نرنو ببصرنا عبر القرون لنرى حقيقة هذا الصراع بين الوحدانية والوثنية ، وكيف استطاع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بحسن بلائه وصدق جهاده وجميل خلقه ، أن ينقذ

بدعوته الإسلامية أمة غارقة في الشرك والوثنية ، فإننا بهذا لا يمكن أن نكتب سيرة النبي بحقيقة مفهومها الروحي .

والماديات تعالج بالماديات .

والروحانيات تعالج بالروحانيات .

والطبيب النفسى يعالج مرضاه نفسياً وروحياً بالحديث والجلسات .

والطبيب الجراح لا يتبع هذا الأسلوب في علاج مرضاه .

فالحديث عن السيرة يجب أن يكون دائماً حديثاً روحياً صافياً صادقاً

وليس مادياً بشرياً نخضعه لمناهج بحث قد تدعو إلى القلق والحيرة .

وعلى هذا جعلت كتابي هذا عن سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليس ترجمة لسيرته أو بحثاً لها ، ولكنى رأيت في هذه السيرة العظيمة لوحات رائعة بهرتنى بضياؤها ، وقد لايربط بينها إلا صاحب الرسالة محمد النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

وكلها عبر ودروس لنا .

وكلها أمثلة تحتذى .

فكانت هذه اللوحات التالية لصور مشرقة مضيئة بنورها النبوى .

تدفعنى إلى تسجيلها نفحة روحية من نفحات الإيمان الخالص بحب عقيدة الإسلام وحب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .



ولم أشأ أن أغوص أو أنحرف إلى مذاهب بحث حديثة نحا نحوها  
بعض كتابنا الأجلاء مدفوعين إلى مناهج البحث الغربي ليضعوا بعضا  
من صور السيرة العظيمة تحت الفحص المادى لذهننا البشرى الدنيوى .  
ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول ونبي ، وصاحب رسالة ختمت  
رسالات السماء وأدبه ربه فأحسن تأديبه .

وأسرى به الله ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .  
وأراد بدينه للعالمين خيرا ، وبشر أمته بأنها خير أمة أخرجت للناس  
فقال عز وجل :

( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ ) (١١) .

وهلم به صروح الوثنية .  
هذا النبي الكريم الذى أكرم الله به أمة الإسلام .  
نسمح لعقولنا البشرية التى عجزت عن أن تأتى بآية من آيات كتاب  
الله الذى أنزله عليه .

هذه العقول الإنسانية البشرية تضع المعايير والمقاييس المنطقية —  
لسيرة نبي ؟ !

---

( ١ ) الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

إن هذا عبث لا طائل وراءه إلا البعد بمفاهيم الدعوة إلى مناهات  
المادية التي يدعو إليها كتاب الغرب ومؤرخوهم ومستشرقوهم .  
ومثل هذه الأساليب أراها دخيلة على الفكر العربي الخالص .  
فليس هذا مجال لمنطق أرسطو وغيره من أصحاب المقدمات والنتائج .  
إنها سيرة روحية عطرة مشرقة لأكرم نبي وأشرف إنسان .  
ويجب أن نتقبلها كما تقبل أبو بكر خبر الإسراء وقال للذين أتوا  
إليه يقصون خبره قبل أن يسمع به من النبي صلى الله عليه وسلم :  
(والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك) ؟ فرأى الله إنه ليخبرني  
أن الخير ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصده  
فهذا أبعد مما تعجبون منه ) .

ولم يقل أبو بكر رضى الله عنه ذلك عبثاً وإنما قاله لأنه «الصدِّيق»  
الذى نظر إلى صاحب الرسالة نظرة أعمق وأشمل من تلك التي نظر بها  
غيره من الذين لم ترق روحهم إلى مستوى الإيمان اللازم في هذه  
المواقف .

وهذا رأي في تناول السيرة النبوية .

يجب أن تتناولها بصفاء ذهني لانضع عراقيل المنطق تأخذ طريقها  
أمام صدق روايتها وجمال سردها في كتاب الله الكريم ، وفي كتب  
السيرة ذات الأسانيد الصحيحة .

فلتكن هذه الصفحات التالية تحمل بين طياتها روحية الإيمان الخالص  
لعقيدة الإسلام ونبي الإسلام .

## استئذان

قال تعالى :

( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا )<sup>(١)</sup> .

سيدى يا رسول الله . . .

قرأت سيرتك العطرة مرات ومرات وبهرتنى منها صور مشرقة صافية . .

فيها كل الإشراف والصفاء والإخلاص والصدق والصبر والجهد :  
وأية أسوة خير من أسوتك لمن أراد الله واليوم الآخر . .  
وأية سيرة أكرم من سيرتك المليئة بجهادك وكفاحك فى سبيل نشر  
دعوتك وتأدية أمانتك . .

فلتكن تلك الصور المشرقة الصافية أخطها فى صفحات لشباب جيلى  
ليرى أى جهاد جاهدت ، وأى صبر صبرت . .  
فى عالم بعثته بعثا جديدا ، وألبسته ثوبا قشيبا من طهارة الروح  
وسمو الإيمان . .

---

( ١ ) الآية ٢١ من سورة الأحزاب .

لأنه حديث قلب مؤمن — مدين لك بإيمانه ، أسوقه في مجال سيرتك  
العطرة يا رسول الله .

ورحاب سيرتك تبهرنى بضياءها وتخطف بصرى الكليل بنورها  
النبرى . .

ورحاب سيرتك واسعة ، أطمع لكيانى الضعيف ووجودى البسيط  
أن يحول فيها وجلا مبهورا .

وجلا ، لجلال قدرك ، وعلو منزلتك ، وسمو مكانتك .

ومبهورا ، لعطر سيرتك مازال يفوح علينا بطيب ذكراك وجميل  
مخلقك وصدق جهادك بعد كل هذه القرون .

وستمر الأيام وهو لا يزال طيبا كما كان .

ويدفعنى نور سيرتك وضياء رحابك الطاهرة أن أستأذن قبل أن  
أجول ، وأصلى عليك قبل أن أتكلم .

وأملئ فى كرمك كبير يا أكرم الكرماء .

ورجائى فى ملاذك كثير يا أشفع الشفعاء .

ووقفت بباب ربى تائباً مستغفراً ، إن كنت قصرت فى كلمة  
أو سهوت فى حرف ، لأننى طمعت فى كرمك وسماحتك وجميل  
مخلقك .

وبرح بى الشوق إلى رحابك الطاهرة .

ويعلم الله كم أشفقت على نفسى وعلى قلمى من أن يخط فى سيرتك  
الحافلة بجميل الأعمال حرفاً .

ولكنه الحب يسوقني لسيرتك ويدفعني إلى الفناء في رسالتك .

فما قصدت إلى كتابة سيرتك على النمط التاريخي المعهود في مجال التراجم ، وإنما أردت أن يكون لي نصيب متواضع في مجال الحديث عن سيرتك ، وقد طمعت في كرمك فوقفت في رحاب سيرتك أناخطبك يا رسول الله ، يأخذ بيدي حلمك وجميل شمائلك ، ورجائي أن تأذن لي لأجول في هذه الرحاب أنعم بلطائف خلقك وثمار غرسك ؛ فليكن كتابي هذا المتواضع سبيلا للوصول إلى ما أريد من بيان بعض مواقف جهادك وأدبك الذي أنعم الله عليك به حين قال :

( وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ) (١) .

وليكن ذلك بعض سبيلنا إلى الحياة الروحية السامية ونحن نقف على درجها ، نستعين الله أن يشد عزمنا على السير فيه ، وما يتطلبه من جهاد عظيم .

وكم من الصور يمتلئ بها موكب سيرتك ، وكلها جهاد في سبيل الله وارتقاء إلى معارج السمو والرفعة .

وليكن ذلك الجهد الضئيل أمام عظمة سيرتك يحمل من الإخلاص لك والحب لرسالتك قدر ما يحمل آلاف المرات من حروف كلماته .

ولتكن بليلتنا — في هذه الصور المشرقة — أمثلة للصبر والجهاد في سبيل الله .

---

(١) الآية ٤ من سورة القلم .

— ٢٠ —

وقدوة للسير في طريق الخير والرشاد .  
طريق الخلاص والإيمان والسمو الروحي . .  
وليكن حديثي كما ذكرت سبيلا إلى محبتك . .  
وطريقا إلى رحاب سيرتك . .  
ولعلني لا أكون قد تطاولت وأطلت في مقام حضرتك ومجال  
سيرتك ، فعذري كثير حبك وأمل رضاك . .  
لأنال رضا ربّي جل شأنه وعلت قدرته . .  
وطوبى لمن سار ووصل . .  
وصبرا لمن سار ولم يصل . .  
وهنيئا لنا بدينك وسيرتك يا رسول الله . .  
يا خاتم النبيين وسيد المرسلين . .  
يا ساكن الجنة . . وثاوى المدينة . .  
إلهي ، يا أرحم الراحمين . . أسألك الرضا يا رب العالمين . .  
ورضا رسولك الكريم . .  
اللهم لا تخيبني وأنا أرجوك . .  
ولا تعذبني وأنا أدعوك . .  
اللهم طهر قلبي من النفاق . . وعلمي من الرياء . . ولساني من الكذب  
لك العتبى حتى ترضى . .  
ولا حول ولا قوة إلا بك . .

## أول اللقاء

ال تعالى :

( أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \*  
 يُقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ  
 يَعْلَمْ \* )<sup>(١)</sup> . . .

وسط ضباب الحيرة ، وسراب الشك الذى ساد الدنيا بعد أن  
 طمست الوثنية معالم الطريق ، التى وضعتها ديانات السماء ، لهداية  
 البشرية على طريق تقدمها الطويل لمعرفة الحق ، وأقامت مكانها المعابد ،  
 تصطف فى ردهاتها تماثيل آلهتها جامدة صامتة كالبلهاء وسط دخان  
 البخور ، وطقوس العبادة ، وتراويل الكهنة المفتعلة التى تحمل برودة  
 النفاق أكثر مما توحى بحرارة الإيمان وصدق التعبير . .

وسط دياجير الشرك وظلمات الوثنية التى لفت عقول البشر وحجبت  
 عنها نور المعرفة ، وأمام عبث العابثين برسالة موسى الكليم وعيسى  
 المسيح عليهما السلام وفى انتظار الأمل تحيى به السماء نفوسا تطلعت  
 لمعرفة الحقيقة بعد أن ضلت الإنسانية طريقها إلى الله .

(١) الآيات ١ - ٥ من سورة العلق .

وسط هذا الإعصار الوثني الذي طمس ديانات التوحيد ، وأحبال  
الدنيا إلى مرتع وخيم لديانات لا تمت إلى السماء بصلة .

دلف من السماء جبريل الأمين ينادى بصوته الجليل المهيب :  
يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . .

قالها لك الوحي الكريم يا رسول الله وأنت تقف مبهورا على سفح  
جبل حراء : في لحظة لا نشك أن الوجود كله وقف يرهف السمع  
لجلال هذا الموقف الذي طال عليه انتظاره ، وتلاشت الحواجز ،  
وانقشعت الحجب ، لتبدو الإنسانية في وحدتها الأزلية منذ خلق الله آدم  
عليه السلام ، لترى نتائج جهودها المضنية في سبيل التوحيد ، ولتشهد  
المعركة الضارية التي أعدت لها قرونا بعد قرون ، ومهدت لها السماء  
برسالة تلو رسالة .

وأكرمك الله يا رسول الله فاصطفاك للقيام بعبء هذه الرسالة ،  
لتدخل الناس إلى رحاب الله ، بعد أن ضاعت المفاهيم وطمست المعالم .  
وقف الوجود كله ساكنا خاشعا . يشهد أخطر لحظة ادخلتها  
السماء ، ليتم فيها اللقاء بين سفيرها جبريل الأمين ورسولها الكريم محمد  
ابن عبد الله ، يحمل كلمة الحق ينير بها طريق الإنسانية في بعثها الجديد  
ليهديها إلى معارج السمو ، وسبل التقدم ودروب الخير .



إن هذه اللحظة التي وقفت فيها يا رسول الله تنظر إلى السماء فلا ترى إلا جبريل الأمين يملأ فضاء الدنيا : وكأنه يعلن لك عظمة ربك وضحامة رسالتك .

هذه اللحظة ليست ككل اللحظات التي مرت بالإنسانية . .

إنها لحظة الجلال ذاته والخشوع لرب العالمين . .

إنها لحظة ميلاد دين جديد هو دين الإسلام . .

وعالم جديد هو عالم التوحيد . .

وأمة جديدة هي الأمة المحمدية . .

وقفت الإنسانية في وحدتها الأزلية ترهف السمع لتسمع كلمة الحق . .

وكيف لا . . وهي كلمة الله يحملها وحى ويبلغها رسول . .

تلقى عليك يا رسول الله في غار موحش بأعلى جبل حراء . .

وأى غار هذا الذى حوى هذا المشهد الفريد بينك وبين وحى ربك . .

كم ذهبت إليه يا رسول الله تبحث عن حقيقة هذا الكون وسر هذا الوجود .

الشمس والقمر والسماء وما فيها من كواكب ونجوم تبدو كالدرر واللائع المنثورة على صفحتها ، وتحرك بنظام دقيق ، وبحساب أدق .  
ثم هذه المخلوقات العجيبة التي لا حصر لها والتي تمتلئ بها دنيا الله .

ثم هؤلاء البشر الذين يملأون الوجود وتمتلىء بهم رحاب الأرض  
تنصارع وتتقاتل وتكد وتسعى .

هذا الكون الذى لا نهاية له ولا تكاد تبدو له بداية ، وهذا الفضاء  
العريض الذى ينسلخ نهاره من ليله لا بد أن له خالقا يرعاه ويحفظ  
نظامه ويقدر أقواته بطريقة يعجز عنها البشر وأصنامهم الجامدة .

وهذه الظواهر الطبيعية التى تبدو فى ظاهرها بسيطة ولكنها لا تدل  
إلا على عظمة الخالق وجلال المدبر .

يقف هذا الغار الموحش قضيت يا رسول الله الأعوام الطوال تبحث  
عن كل هذا ، وتلمس الحق وتهديك فطرتك إلى طريق المعرفة ترى  
آيات ربك خالق السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى .

كم جاهدت وكابدت يا رسول الله وأنت تصعد إلى قمة الجبل  
تقيم وحيدا فى الغار إلا من إيمانك ، أنيسك الحق ورائدك الهدى .

كم تحملت من مشاق جسام طوال سنين قضيتها وأنت تتأمل ملكوت  
ربك تسبح عن جوهر الإيمان وسر الإله ، وكم من الليالى والأيام  
قضيتها ساجدا لربك تتجه إليه ليهديك ويأخذ بيدك إلى سبل المعرفة  
ودروب الخير . .

أعوام وأعوام مرت وأنت تشق طريقك وسط شعاب مكة وظلمات  
الوثنية تطمس دروبها ، وتمضى وحيدا إلى غار أحراء تنفس عير

الوحدانية بعيدا عن هجير الوثنية تتعبد لخالق الكون حتى بلغ الكتاب  
أجله وجاءت اللحظة الحاسمة في حياة الوجود كله ليهديك الله إلى طريق  
الحق ، طريق الإسلام ، طريق السماء . .

وليأخذ بيدك رب العالمين إلى معارج السمو ودروب الهداية في عالم  
طغي وتجبّر وكفر وأشرك .

وتقيم بقرآن ربك دنيا من العدل والنور . .

وتمحو من الوجود دنيا ظالمة وعالما مظلما . .

وقد سبق لك يا رسول الله تاريخ طويل امتلأ بكل ألوان الخير  
والأمانة . . تاريخ ناصع سبق بعثك لتكون أهلا لكل ما سيلقى عليك  
من وحي ربك .

وما أصدق الرسالة يبلغها رسول مثلك صاحب تاريخ رائع عرفته  
مكة طوال أربعين عاما سبقت هذه اللحظة الخالدة التي ستكون بعدها  
سفيرا بين السماء والأرض ، لتبلغ رسالة ربك ، وتحتم بها رسالات  
الأنبياء ، وتحقق دعوة جدك إبراهيم ودعائه إلى ربه :

( رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ )<sup>(١)</sup> .  
( وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا )<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) الآية ١٢٩ من سورة البقرة .

( ٢ ) الآية ٣٨ من سورة الأحزاب .

فما إن يبلغ الكتاب أجله وتحين لحظة استجابة دعاء إبراهيم الخليل حتى تكون وحيدا في غار حراء تشهد أروع لحظة ادخرتها السماء . وهل في الوجود كله أروع من تلك اللحظة التي فتحت السماء فيها أبوابها ليدلف منها جبريل الأمين ، يقف بطلعته المهيبة أمامك في غار حراء ، ويكاد يحتويك بين ساعديه وهو يقول لك بصوته الملائكي :  
اقرأ ..

وترد عليه يا رسول الله قائلا : ما أنا بقارىء ..  
ويحتويك مرة ثانية وهو يقول : اقرأ ..  
ولكنك تقول له : ما أنا بقارىء ..  
ويحتويك للمرة الثالثة ويقول لك : اقرأ ..  
وتخشى الموقف الرهيب الذى فاجأك في الغار فتقول له للمرة الثالثة : ما أنا بقارىء ..

فيتلو عليك الوحي الأمين :  
( أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \*  
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ )<sup>(١)</sup> .

وتتلو يا رسول الله هذه الكلمات فكأنها نقشت في قلبك .

وتخرج من الغار تريد منزلك فى مكة فما تكاد تتوسط الجبل حتى  
تسمع صوتا مهيبا جليلا يأتيك من السماء :  
يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . .

فترفع رأسك لترى الوحى الأمين فى صورة رجل يملأ فضاء الدنيا  
أمامك ، ولا تستطيع أن تتقدم أو تتأخر ، فجعلت تصرف وجهك  
عنه فى آفاق السماء فلا تنظر فى ناحية منها إلا رأيته يملأ الفضاء العريض  
بطلعه الملائكية الجليلة ، وصوته يدوى فى أركان الدنيا يملأ قلبك  
بالخشوع والإيمان لرب العالمين وهو يقول :

يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . .

يطمئن نفسك ويهدى روعك ، ولتكون فاتحة وحى وصداقة  
علوية ستستمر فى هذه الدنيا ثلاثة وعشرين عاما .

فهو جبريل عليه السلام ، وحى السماء يحمل كلمة الله . .

وأنت محمد عبد الله ورسوله ، تبلغ الرسالة وتودى حقها . .

أية روعة التى غشيت ذلك اليوم . .

وأى جلال ذلك الذى ساد أركان الدنيا . .

وأى رضوان هذا وأى سمو ورفعة . .

إنها أعراس الدنيا وأفراح البشرية بلحظة طال انتظارها ، محت  
بإشرافها ظلام أحقاب من الجهل ، وقرون من الظلم ، وأزالت صدى  
الحمود الذى ران على قلوب البشر أجيالا وراء أجيال . .

إنه الضياء الإلهي أضفاه الله عليك أنت النبي الأمي التي شاءت إرادة الله جل شأنه أن تكون رسول العالمين وخاتم المرسلين .

وأية رسالة سامية تلك التي تبدأ بكلمة تحمل كل معاني المعرفة وطلب العلم (اقرأ) إنها رسالة العرفان والتقدم ، تبدأ بها البشرية مرحلة المعرفة واستخدام العقل بعد انتهاء عصور المعجزات الحسية .

إنها قمة الجهود التي بذلتها البشرية لتتعم عليها السماء برسالة خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فكم من الأيام والليالي مرت عليك ياسيدي يا رسول الله وأنت بعيد عن زحام الحياة في مكة ، وقد توجهت إلى غار حراء حيث تتلقى شعاع الهدى من ربك ، وقد كان ذلك موقفا مشهودا في تاريخ الدعوة الإسلامية ، بل في تاريخ الرسائل السماوية ، لأنه جاء في ليلة اختارها مقدر الأقدار العزيز الحكيم ، وفي شهر انتظم بين حباته الدرية هذه الليلة المباركة . .

والشهر هو شهر رمضان المعظم :

( شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ )<sup>(١)</sup> . .

---

( ١ ) الآية ١٨٥ من سورة البقرة .

والليلة ليلة القدر . .

ولا ندرى أيهما جاء بالآخر وإن كنا نقرأ آيات ربك :

( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ \* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ \* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ \* سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ )<sup>(١)</sup> .

فنعرف أنها خير من ألف شهر ، حتى ولو كان شهر الصيام ، لأن الآيات لم يرد فيها استثناء ، تقابلت ياسيدى يارسول الله في هذه الليلة المباركة المشهودة من هذا الشهر المبارك المشهود بسفير السماء جبريل الأمين يستفتح طورا جديدا من أطوار العقائد السماوية — بـ (أقرأ) . .

( وَمَا كُنْتَ تَقُولُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَرْتَابِ الْمُبْطِلِينَ )<sup>(٢)</sup> .

( وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) سورة القدر .

( ٢ ) الآية ٤٨ من سورة العنكبوت .

( ٣ ) الآية ٥٢ من سورة الشورى .

نعم ، لم تكن بقارىء ياسيدى يارسول الله ولكنك وأنت الأسمى  
حملت أمانة الكلمة بكل ماحوته من عظمة محتواها وضخامة مغزاها  
ومسئولية إبلاغها .

فبدأ عصر العقل والعلم بـ ( اقسراً ) ليصل بنو البشر إلى حيث  
تضيق بعلمهم دروب الأرض فينطلقون إلى فضاء الكون يغزونه  
بعلمهم وقد نسوا أن محكم آيات ربك قد جاء به :  
( وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ )<sup>(١)</sup> .  
نعم ، ياسيدى يارسول الله .

لقد انطلق البشر بعد أربعة عشر قرناً من نداء السماء : ( اقرأ )  
إلى رحاب الفضاء وقد طال عليهم الأمد فنسوا في خضم العجب والدهشة  
والانبهار مكتشفات العلم الحديث أنك بدأت برسالتك المحمدية هذا  
العصر من العلم الذى يساير الإيمان ويخدم قضية الإنسان . .

وتظل يارسول الله واقفاً أمام الغار تقلب بصرك في أرجاء السماء  
حتى ينصرف الوحى عنك ، وهنا تسرع الخطا إلى مكة . . . إلى  
الزوجة المخلصة الوفية الطاهرة خديجة بنت خويلد لعلك تجد عندها  
الطمأنينة . .

إنك الأمين صاحب التاريخ الفاضل ، وصاحب الخلق الجميل  
والأدب والحكمة والأمانة والزهد وسائر الفضائل التى عرفك بها الجميع .

---

( ١ ) الآية ٧ من سورة الذاريات .



ثم إنك صاحب الرؤيا الصادقة التي روض الله بها نفسك حتى تقوى على تحمل الموقف الجليل ، موقف الوحي في غار حراء يلقي عليك عبء تبليغ الرسالة ، وتأدية الأمانة ، وتصل إلى واحة الإيمان وسط هجير الوثنية اللاfach ورمضاء الشرك في مكة حيث تلقاك الطاهرة خديجة شريكة حياتك وزميلة جهادك .

وتقص عليها ما حدث ، فلا تجد فيه خديجة شيئا غريبا عنك ، فهي الزوجة المخلصة الوفية التي تعرفك حق المعرفة فتهديها فطرتها إلى أن سيرتك الطاهرة وسمو أخلاقك لا يمكن أن تتلاقى مع شر أبدا ، ولن يصيبك إلا كل الخير وكل الرشاد من رب العالمين ينعم بهما عليك أنت المصطفى من بين عباده أجمعين .

فتقول لك الطاهرة خديجة :

الله يرعانا يا أبا القاسم ، أبشريا ابن عم واثبت فو الذي نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدى الأمانة وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . .

وتدعوك لتريح جسدك ، ثم تنطلق إلى منزل ابن عمها ورقة بن نوفل وقد كان كثير القراءة في التوراة والإنجيل ، وتقص عليه ما دار بينك وبينها وما حدثها به فيقول لها :

قدوس ، قدوس ، والذى نفس ورقة بيده لئن صدقني يا خديجة  
لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتي موسى ، وأنه لنبي هذه الأمة  
فقل له فليثبت .

وتعود إليك وقد ازداد إيمانها بصدق فطرتها و يقينها الذى لم يتزعزع  
يوما من الأيام انك لست مثل الآخرين ، وأن هذا اللقاء بينك وبين  
الروح الأمين كانت تراه رأى العين وتحس به دائما .

ويدفعها بعض القلق عليك أن تتأكد بنفسها من حقيقة هذا الوحي  
فتطلب منك حين يأتي جبريل الأمين أن تجلس على فخذه فتخبرها  
أنك ما زلت تراه فتجلس في حجرها فلا ينصرف وهنا تلقى بخبرها  
فتخبرها أنه قد انصرف ، فيزداد يقينها وتهتف بك أن هذا ملك  
وليس بشيطان .

ويستمر الوحي الأمين يهدي روعك وينزل عليك بآيات الذكر  
الحكيم حتى جاء لك بسورة المدثر :

( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنذِرْ \* وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \*  
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ \* وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ \* وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ \* )<sup>(١)</sup> .

ويرق قلب خديجة للحالك وقد رأتك تنفصد عرقا فتدعوك لتريح  
نفسك وتلزم فراشك ، ولكنك يارسول الله تقول لها :

---

( ١ ) الآيات ١ - ٧ من سورة المدثر .

سأنتفضي يا خديجة عهد النوم والراحة ، فقد أمرني جبريل أن أنذر  
الناس وأن أدعوهم إلى الله وعبادته ، فمن ذا أدعو ومن ذا يستجيب  
لي ؟

ويظهر دور خديجة الرائع كزوجة لنبي كريم ؟  
فهي حاضنة الإسلام وقد حفظ لها التاريخ في سجله الأمين أنها أول  
من صدقت وأول سيدة أسلمت ؟

فليكن لها في قلبك الكريم يا سيدى يا رسول الله مكانا لن تشغله  
أبدا أى من نسائك بعد ذلك حتى آخر أيامك في هذه الدنيا ؟

وستمر الأيام والسنون وأنت في المدينة تجلس مع زوجك عائشة  
فتسمع خارج بيتك صوت هالة أخت السيدة خديجة وقد جاءت من مكة  
لزيارتك وما كان أشبه صوتها بصوت الراحلة خديجة وتهتف بها وقد  
امتألاً صوتك بكل الحنين والوفاء : ( اللهم هالة ) وهنا ترد السيدة  
عائشة وقد أخذتها الغيرة : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش  
حراء الشديقين هلكت في الدهر أبذلك الله خيرا منها<sup>(١)</sup> .

وتغضب يا رسول الله من أجل الراحلة الكريمة وما كان أقل غضبك  
وتقول لها : لا والله ما أبدلني خيرا منها . . آمنت بي إذ كفر الناس ،  
وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني في ما لها إذ حرمني الناس ،  
ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء .

---

( ١ ) محمد عليه الأبرار عظمة الإسلام ص ٤٨٠

— ٣٤ —

ما أجمل وفاءك يا رسول الله .  
وطوبى لك أيتها السيدة الفاضلة المخلصة المؤمنة .  
يا زميلة الكفاح وشريكة الجهاد .  
وكفالك كل هذا الجلال الذى أحاط بزواجك الكريم .  
فأنت زوجة محمد الأمين بين شباب مكة ورجالها .  
محمد النبي والرسول .  
وأنت أول المصدقين وأول المؤمنين .  
ولكن رضا الله أجمل من كل هذا .  
فها هو جبريل الأمين يأتيك يا رسول الله ويقول لك :  
( أقرئ خديجة السلام من ربها ) . .  
إن فى ذلك غاية الرضا من رب العالمين لتلك النفس الصادقة  
المطمئنة ، وأمنية السالكين ، وأمل المحبين .  
سلام من رب العالمين إلى خديجة بنت خويلد .  
يحملة جبريل عليه السلام ويبلغه النبي الكريم .  
فارضى واطمئنى بعد كل هذا التكريم وكل هذا الرضا من رب  
العالمين وستبقى ذكراك دائما عطرة فى نفس النبي الكريم حتى آخر  
عهده بالدنيا .

\* \* \*

— ٣٥ —

وتخرج يا رسول الله بعد أيام من لقاءك مع وحى ربك تطوف  
بالكعبة ويقابلك ورقة بن نوفل فيقبل رأسك ويقول لك :  
والذى نفسى بيده إنك لنبي هذه الأمة . ولتكذبن ولتؤذين  
ولتخرجن ولتقاتلن وياليتنى كنت قويا إذ يخرجك قومك .

فتقول له : أو مخرجى هم ؟

فيقول ورقة : لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، ولئن  
أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا مؤزرًا .

ولكن ورقة يموت بعد ذلك بأيام . . .

\* \* \*

وتجول بخاطرك يا رسول الله أبعاد هذه المهمة التى ندبك الله جل  
شأنه للقيام بأعبائها .

أى مجتمع هذا الذى تدعوه إلى التكبير لله وحده ونبذ عبادة  
الأوثان .

إنه مجتمع يحمل أبشع صور العصبية والوثنية والشرك والضلال .

مجتمع مثله الأصنام وعماده إهدار القيم الروحية .

هل آن لك يا رسول الله أن تحقق دعاء جدك إبراهيم الخليل عليه

السلام :

( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ .. )<sup>(١)</sup>.

هل حان وقت تطهير البيت الحرام أول بيت وضع للناس من كل مظاهر الشرك والوثنية ، ليؤدي رسالته إلى العالم كما أدى رسالته أيام إبراهيم الخليل وإسماعيل عليهما السلام :

( وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ )<sup>(٢)</sup>.

أثبت إذاً يا رسول الله فتلك رسالة ربك السامية وأنت رسولها .  
وتلك رسالة الإسلام آخر رسالات السماء وأسماها .  
وهي دعوة الوحدانية والعدل .

فاصبر وما صبرك إلا بالله ، فقد آن لهذه القلوب القاسية أن تلين ،  
وآن للرحمة أن تجد سبيلها إليها .

وآن للبيت الحرام أن يكون مثابة للناس وأمنا .

وآن للبشرية كلها أن تكون لها رسالة واحدة هي رسالة الحق . .  
رسالة الإسلام . .

( ١ ) الآيات ٣٥ - ٣٦ من سورة إبراهيم .

( ٢ ) الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

وستعلو راية الدين الجديـد خفاقة عالية ، تحملها نفوس سمت  
روحها إلى معارج السمو والخلود .

وستبقى كذلك ما بقيت وما بقي الوجود .

وستبقى أمتك يا رسول الله رائدة الأمم بسمو شريعتها وصدق  
عقائدها .

وقد طافت بمخيلتك صور المجتمع الوثني الذي يجثم على مكة وما  
حولها ، وقد ضاعت تعاليم المسيح ، وحرفت شريعة موسى الكلم  
عليهما السلام .

وهي صور وعيتها منذ طفولتك وصباك .

وكان عليك أن تبدأ دعوتك يا رسول الله في هذا المجتمع المعن  
في شركه ووثنيته .

إنه مجتمع لا يعرف غير المادية في أبشع صورها وعلى رأسها الربا .

إنه مجتمع السادة والعبيد .

مجتمع التجارة والمال . . . مجتمع اللات والعزى .

لا مثل ولا قيم ولا مبادئ روحية ، وإن وجدت فكلها تلذوب  
في العصبية والوثنية .

إنها والله يا رسول الله لمسئولية جليـلة ، تلك التي ستقوم بأدائها  
وحملها ، لكي تفجر لقومك أنهارا من المعرفة ، وعيوننا من الإيمان ،  
ولتخرج به هذا المجتمع من الوثنية إلى الإيمان بالله الواحد الأحد .

ومن المادية إلى الروحية .

ومن الانحلال إلى الخير والرشاد :

ليفتح الله لهم أبواب الخير لتلج الإنسانية كلها إلى رحاب هذا  
الدين الحنيف :

( وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ  
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا )<sup>(١)</sup> .

ستخوض يا رسول الله معركة ضارية مع قادة الشرك وأئمة الوثنية  
ورسل الضلال والفساد .

أنت النبي الأُمِّي . . ولكنك الأمين .

الأمين في نفسك وفي غيرك . . الأمين في قومك وعشيرتك . .

الأمين في رسالتك وبلاغك للناس . . الأمين في مقالك وحديثك .

عليك إذاً تبليغ الرسالة وتأدية الأمانة يهديك رب العالمين ويعينك ،  
وقد بعثك بالحق بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا ، ويساندك بوجيه  
وملائكته :

وتتلاحق كل هذه الصور في مخيلتك تنتظر الوحي يهديك ويشد  
أزرك وينير أمامك سبيل نشر الدعوة ، ولكن لا شيء من ذلك كله

---

( ١ ) الآية ١٢٥ من سورة النساء .



ويعتريك الإشفاق مثل ما اعترى زوجك الطاهرة حتى ظنت أن يكون ربك قد ودعك وقلاك .

وإذا أنت تحزن لهذا الخاطر وتأخذ عليك الحيرة كل مأخذ ، ولكنه كان أمرا مكتوبا وقدرا مقدورا .

ويشاء جل شأنه أن يرد إلى نفسك سكيتها وإيمانها بصدق الدعوة فينزل الوحي الكريم :

( وَالْضُّحَىٰ \* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ \* مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ \*  
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ \* وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ \*  
أَلَمْ يَجْعَلْكَ يَتِيمًا فَشَاوَىٰ \* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ \* وَوَجَدَكَ عَائِلًا  
فَأَغْنَىٰ \* فَمَاءَ الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ \* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ \* وَأَمَّا  
بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ) .

لا خوف إذا ولا قلق من أن يكون ربك قلاك . .

وإنما كفاح في سبيل الدعوة وسير في معارج السمو الروحي .

وعطاء من ربك حتى ترضى .

— ٤٠ —

انطلق يا رسول الله برسالتك إلى وجود ربك ، لتبلغ رسالة الإسلام  
دين الإنسانية التي آن لها أن تستظل بآخر رسالات السماء .

أى فضل هذا عليك يا رسول الله من رب العالمين لا يقاس بأفضاله  
السابقة عليك :

يوم وجدك يتبنا فأوى ، .

ووجدك ضالا فهدى .

ووجدك عائلا فأغنى :

فلتطمئن نفسك وليهدأ ضميرك .

وأما بنعمة ربك فحدث :

وليكن ذلك درسك الأول من ربك العليم الخبير .

---

## فاستقم كما أمرت

قال تعالى :

( وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا \*  
إِذَا لَأَذْنُكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا  
نَصِيرًا \* )<sup>(١)</sup> . . .

سيدى يا رسول الله : . . .

أشرقت شمس الإسلام يوم نزل جبريل الأمين يعان لك خبر  
السماء ، وازدادت نفسك المؤمنة صفاء واطمئنانا بصدق الوحي يوم  
جاء بسورة الضحى مؤكدا رضى ربك وعطاءه الذى لاحد له ، وكرمه  
الذى أسبغه عليك يوم وجدك يتيمًا فأوى وعائلا فأغنى ، يطمئن نفسك  
أنت المصطفى من لدن العليم الخبير لتؤدى الأمانة إلى أهل الأرض .

وسار موكب الدعوة يشق طريقه وسط شعاب الوثنية التى تدمى  
ضماير الموحدين ، وفى هجير يلفح قلوب المؤمنين ، ويكاد يخنق  
أنفاسهم وبدت الدعوة كنسائم رطبة تهب على قلوب هؤلاء الذين  
أرادهم الله أن يكونوا نواة دعوتك .

---

( ١ ) الأيتان ٧٤ ، ٧٥ . سورة الإسراء .

أسلم على بن أبي طالب وزيد بن حارثة وهما اللذان كانا يستظلان  
بظلك في واحة الإيمان بمنزل الكريمة خديجة بنت خويلد .

وأسلم أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وسعد  
ابن أبي وقاص وغيرهم كثيرون من السابقين الأولين الذين لبوا دعوة  
الحق وأسلموا لله جل شأنه .

ولعلني أستطيع أن أرجع ببصرى عبر القرون لأراك ياسيدى يا رسول  
الله وقد بدأت دعوتك سرّاً بين هؤلاء الذين توسمت فيهم نبل الغاية  
فازداد عدد المنضوين تحت راية الإسلام ، واستظل الكثيرون من  
المستضعفين بظل رسالتك بعد أن لفحتهم الوثنية وأدمت السياط  
ظهورهم .

فأسلم بلال الحبشى الذى قدر له أن يكون مؤذنك يا رسول الله  
وأجمل صوت علا المآذن .

وأسلم عمار بن ياسر وأبوه وأمه سمية .. هؤلاء الذين قلت لهم وقد  
تأملت لعذابهم من مشركى قريش :

( أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ) ..

واستمرت الدعوة سرّاً ثلاث سنوات يزداد فيها المسلمون عددا  
وقريش تسمع هذه الدعوة الجديدة فلا تقيم لها وزناً ولا تحسب لها  
خطراً وإنما هو الهمس يجرى بين المسلمين بعضهم مع بعض حيناً ،  
وبينهم وبين أقاربهم من المشركين حيناً آخر .

ولم يدر هؤلاء الذين أظهروا العداء للدعوة أو أهملوا شأنها أو  
حسبوا نزوة طارئة كنتلك التي كانت ترد إليهم مع قوافل فارس  
والشام تمثل بعض عقائد الأمم أن الله مِمَّ دينه وناصره ومظهره على الدين  
كله ولو كره الكافرون .

وقد أراد لك الله أن تعان دعوتك يا رسول الله وأن يتحول الهمس  
إلى الجهر ممتداً على تلك الفئة القليلة التي تقودها بهدى ربك ؛  
وتخوض بها معركة ضارية بين عقيدة الحق وعصبية الشرك .

وقد جاءك الوحي الأمين بأمر ربك :  
( وَأَنْزِلْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ \* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ  
وَالْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِئْءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ )<sup>(١)</sup> .

ثم يقول لك :  
( فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ )<sup>(٢)</sup> .

وتعرف يا رسول الله أن الله قد أمرك بالجهر بالدعوة وإعلان  
الرسالة لتهدم ما شادته الوثنية ، وتقيم صرح أمة ستطأ عرش كسرى وتهز  
عرش قيصر . وستعنوا لها الجباه ليس في الجزيرة العربية فحسب بل  
في بلاد الشرق والغرب حين ينصر الله عبده ويعز جنده .

( ١ ) الآيات ٢١٤ - ٢١٦ من سورة الشعراء .

( ٢ ) الآية ٩٤ من سورة الحجر .

— ٤٤ —

وعلى الرغم من هذا الإصرار على الباطل من بعض عشيرتك يا رسول الله لم تردد وحماة دينك قليلون مستضعفون .

فصعدت على الصفا تعلن لأهل مكة دعوتك إلى الدين الجديد وتنادى :

يا معشر قريش . .

وتدهش قريش لهذا النداء ولكنها تسرع لترى ما وراءه . .

فتقول لهم : أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني ؟

قالوا : نعم ، أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذباً قط . .

فتقول لهم : فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .. يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف ، يا بني زهرة ، يا بني تميم ، يا بني مخزوم ، يا بني أسد ، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقرين ، وإني لأأمركم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله .

ويندفع عموك أبو لهب في عناده وشركه وحسده وعصبيته ليقول لك :

تباً لك سائر هذا اليوم ، ألهذا جديعتنا ؟

وتنظر إلى عموك في إشفاق وأسف وقد حزنت لموقفه المشين أمام جمع مكة وقد أعماه الجهل عن أمر وحى السماء ولم يدر بمددها الذى

تبعته لنصرتك ، فيها هو جبريل الأمين يأتيك برأى السماء في أبي  
لهب :

( تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ \* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ \*  
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ \* وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ \* فِي جِيدِهَا  
حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ <sup>(١)</sup> .

وأصبحت هذه الآيات سباطا تلهب ضمير أبي لهب وامرأته . ونحيل  
حياتهما في مكة إلى جحيم دائم وسعير مستمر ، وصورتها معا ، هو  
بلهبه المشتعل ، وهى تحمل الحطب وفى رقبتها جبل من مسد : تملأ  
أذهان المشركين بالهلع والذعر .

ولم يمنعك كل هذا العناد عن الاستمرار فى دعوتك يساندك الوحى  
ويؤازرك أصحابك هؤلاء الذين تحملوا أذى قريش وعنادها فى صبر  
وأناة ، لا يثنى عزيمتهم شئ ، أملهم الدعوة إلى الإسلام وازدياد  
عدد المؤمنين به والثبات فى وجه الطوفان الوثئى الذى أراد أن يكتسح  
هذه الواحة التى نبتت وسط هذا الخضم من الكراهية والحقد .

كم تحملت هذه الفئة المؤمنة عذاب المشركين فى رمضان ومكة وشعارها  
لا يتغير أبداً : أحد .. أحد .. منهم سادة قريش كأبى بكر وعثمان  
والزبير ، ومنهم المستضعفون كخباب وصهيب وبلال وعمار .

---

( ١ ) سورة المسد .

فالعقيدة الجديدة تضع الجميع أمام الله في مساواة مطلقة وتمنحهم الحرية المطلقة .

لا سادة ولا عبيد ؛ ولا أبيض ولا أسود ، ولا عربي ولا أعجمي ،  
ولنا الجميع أمام الله سواء :

( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) <sup>(١)</sup> .

وتبدأ السماء ترسم لهذه الفئة المؤمنة سلوكها في نفس الوقت الذي تنزل فيه الآيات تساند الدعوة وتهاجر المشركين وتتوعد الكافرين .

ويريد لك الله الكمال والرفعة .

الكمال في خلقك وتصرفك لتكون هاديا ومبشرا ونذيرا ، ليسمو بك هذا الخلق إلى أقصى درجات الأدب النبوي ولتكون مثالا لأمتك ،  
تأخذوا حذوه ، وتسلك سلوكه ، وتنهج نهجه .

حتى إنك تشفق على هؤلاء الذين حالت جلاييد الشرك من وصول شعاع من أشعة الدعوة إلى أفئدتهم ، فأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم وأن يحجبوا شمس الدعوة بعنادهم .

ويحدوني أدبك وكرمك يا رسول الله أن أعرض صورة نادرة  
من رحاب سيرتك وصورة مشرقة من صور الجمال النبوي :

---

( ١ ) الآية ١٣١ من سورة الحجرات .



يوم جاءك الوليد بن المغيرة سيد مكة ، وأحد أشراف قريش ،  
فأخذت تعرض عليه الدعوة والأمل يحدوك في إسلامه لتعز به الإسلام  
وتكسب به سيدا من سادات قريش سوف يهتز لإسلامه هذا التكتل  
العصبي الذي أقامه سادة مكة في وجه الدعوة .

وفيا أنت تؤدي هذه الرسالة إذا رجل من الفقراء المستضعفين  
الذين كان لهم السبق في تلبية نداء الإسلام ، رجل أعمى فقير وهبه  
الله نور البصيرة وهده إلى جادة الإيمان فاتخذ مكانه وسط هذه الفئة  
المستضعفة التي أراد لها الله أن تكون حاضنة الإسلام .

إنه عمر بن أم مكتوم الأعمى الفقير في ماله ، الغنى بإسلامه ،  
جاءك يستقرئك القرآن وهو يلح عليك يا رسول الله — وأنت الحليم  
في موقف ترى أن جهدك كله قد انصرف إلى إقناع السيد الشريف  
الغنى الوليد بن المغيرة ، وتتولى عن ابن مكتوم الذي صرفك عن  
استكمال عرض الرسالة على سيد مكة .

وتخلو يا رسول الله إلى نفسك وقد علمت بنبلك وجميل شمائلك  
وصفاء ذاتك أن الله معاتبك في هذا الفقير الأعمى .

وما أسرع الوحي ينزل بآيات الأدب الرباني لخير من أنجبت الدنيا  
يا رسول الله يا أكرم الكرماء :

( عَبَسَ وَتَوَلَّى \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى \* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكَى \*  
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى \* أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى

وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكَبُ \* وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ \* كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ \* فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ \* رُّفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ <sup>(١)</sup> .

وتستغفر ربك وتزداد نفسك الكريمة صفاء بعد أن التقت بأدب ربها السماوى .

إنه حديث رب العالمين إلى صفيه وخليله .

وهو أدب لا يقدر عليه إلا من قال له ربه :

(فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ) <sup>(٢)</sup> .

ولكن قريشا لا تقيم لهذه القيم الدينية والأخلاقية أى وزن أو اعتبار فتعصبا العصبية ويشرد بها العناد لتضل الطريق إلى الله ، وتظل تتخبط وسط تيارات الحسد وأنواء التنافس القبلى والعناد الجاهلى ، حتى يصل الأمر بالوليد بن المغيرة أن يقول :

أينزل على محمد وأترك أذاكبير قريش وسيدها ، ويترك أبومسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف ونحن عظميا القريتين .

ولكن رسالتك يا رسول الله لم تترك للسادة مكان الصدارة أمام جموع الكادحين والمستضعفين إلا بالعمل والتقوى .

( ١ ) الآيات ١ - ١٦ من سورة عبس .

( ٢ ) الآية ١١٢ من سورة هود .

ولم يجعل للمال وزناً في قيم الرجال ومعادن النفوس وليس فيها مجال  
للعبث الوثني يزن الرجال بميزان الشرف الدنيوى دون النظر إلى  
حكمة السماء وأقدارها :

وهنا يأتيك الوحي بالرد على أحلام سيد مكة :

( وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ  
عَظِيمٍ \* أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا )<sup>(١)</sup> .

فالعظمة ليست في الحسب والنسب والعزة ليست بالمال والسلطان ،  
وكم من الضعفاء الفقراء أكرمهم الله بنور الإيمان وجلاء البصيرة  
فطوب لهم الطريق ، طريق محبة الله فغذموا السكينة والرضا والعزة  
والكرامة .

وهؤلاء الرجال الذين سادوا الدنيا بسلطان القهر والغصب ذهب  
سيرتهم أدراج الرياح .

تلك هى معيشتهم فى الحياة الدنيا ، أما رحمة ربك فلا يقسمها  
إلا هو عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .

تلك ناحية من نواحي العظمة فى رسالتك يا رسول الله ، جاءت  
لتلغى احتكار الأحرار والرهبان للرضا الربانى ، حين طمست للعقول :

---

( ١ ) الآيتان ٣١ ، ٣٢ من سورة الزخرف .

ودرست المعالم ، وجعلت رحمة الله لعباد الله دون واسطة ودون احتكار ، فهي له وحده يقسمها بين عبادہ كيف يشاء .

تهذيب سماوى وأدب ربانى يدعم الله بهما دعوتك يا رسول الله لتقيم ديننا وتشيد إيماننا .

وأنت محور عناية السماء وحامل هذا العبء الجسيم تنتقل بين شعاب مكة في هجير الوجود ، وما أقسى هجير مكة في ذلك الحين . تتحمل كل هذا النصب من أذى قريش لك ولأصحابك فلا تزداد إلا إيماناً وتصميماً على السير بالدعوة والعمل على نشرها ، يساندك الوحي ويلبى حوادث يومك ويرسم لك الطريق في أدب عظيم وبيان معجز .

ولكنه التواضع لا يغيب عن جميع موافقك فكثيراً ما كنت تتلو قول ربك :

( قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْنَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ <sup>(١)</sup> ) .

فلتمض يا رسول الله إلى أن يتم الله عليك نعمته ، وينصرك نصراً مؤزراً ، ويفتح لك فتحاً مبيناً ... فالطريق ما زال طويلاً .

---

( ١ ) الآية ١٨٨ من سورة الأعراف .

ولتكن هجرتك المستمرة إلى ربك بكل حركاتك وسكناتك لا تريد بها إلا وجه ربك ورضاه الذي لا ينتهى .

ولكن قريشا تضع أمامك العقبات ولا تترك وسيلة للتنكيل بالمسلمين إلا اتبعها . فقد تعاهدت فى صحيفة كتبها وعلقتها بالكعبة أعلنت فيها مقاطعتها لنبي الإسلام ومن تبعه من المسلمين لا بيع معهم ولا شراء ولا زواج ، ولا أى نوع من أنواع المعاملات وتستمر هذه المقاطعة ثلاث سنوات يذوق المسلمون فيها مرارة الحرمان ، ويشعرون بجفاف الفقر وثقل العنت والضيق .

وكم تأملت كثيراً يا رسول الله وأنت ترى شحوب الوجوه من الجوع وقد خبا البريق من العيون ولولا الإيمان بالله لانفطرت القلوب .  
وتصمد الفئة القليلة معك يا رسول الله أمام إعصار الكراهية وأنواء الحقد والقسوة .

ويحرك موقفك الصامد جماعة من الذين وقعوا هذه الصحيفة على رأسهم هشام بن عمرو بن ربيعة فيتم الاتفاق على نقضها وإنهاء مقاطعة المسلمين .

وقد نجحت هذه الجماعة فى تمزيق الصحيفة ، فتعود مع أهلك وجمعك من المسلمين إلى مكة بعد ثلاث سنوات من الألم والحرمان :  
وتعرض عليك يا رسول الله هذه الجماعة من قريش أن تصالح قريشا منعاً للفتنة وتفادياً لتكرار المقاطعة وتدعوك ألا تذكر آثمهم بشر .

وقد نسيت هذه الجماعة جوهر عقيدتك وسمو رسالتك ولم تدر أن الاستقامة في الأقوال والأفعال شيمة نبوتك ، وليس هناك مجال للشرك والوثنية بجوار نداء الوحدةانية .

وسرعان ما يأتيك الوحي يحسم الموقف بآيات ربك :

( وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَيُفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا اتَّخَذُوكَ خَلِيلًا \* وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا \* إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ) (١) .

إن هذه الآيات تصور عظمتك يا رسول الله لأنها تمثل أمامنا كيف أدبك ربك فأحسن تأديبك .

والمجال هنا يا رسول الله مجال العقيدة التي لا تهادن ولا تساوم ، ولا مكان لعبث العابثين وهو اللاهين من كفار قريش ، لهذا يقول لك ربك العزيز الحكيم :

( إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ) (٢) .

---

( ١ ) الآيات ٧٣-٧٥ من سورة الإسراء .

( ٢ ) الآية ٧٥ من سورة الإسراء .

والسماء ترعى السلوك النبوى ليس فى مجال العقيدة فقط بل تتعداه إلى مجال السلوك الإنسانى والعلاقات العامة بين جماعة المسلمين ولو كانوا فى حضرتك وأنت رسول السماء وخاتم النبيين والمرسلين .  
فها هو الأقرع بن حابس التميمى ومعه عيينة بن حصن الفزارى يقولان لك يا رسول الله :

إننا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا نعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيناك فنستحي أن ترائنا العرب مع هذه الأعباء فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت .  
يقولان هذا وقد وجدا فى حضرتك بعض هؤلاء المستضعفين مثل نجباب وابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال الذين شكلوا النواة الأولى لأمة الإسلام .

فكأنك قلت نعم أو طاف بك طائف مما قالوا حبا فى الدعوة وأملا فى كسب أمثال هؤلاء إلى جانبها لتقوية أركانها وتدعيم مسارها وإنارة دنيائها الكالحة فى ظلام مكة .  
وهنا يأتى المدد الربانى كومضات كاشفة تهدى السبيل فى مداهم المواضع :

( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَصَىٰ يُرِيدُونَ  
وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ  
شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ) <sup>(١)</sup> .

( ٢ ) الآية ٥٢ من سورة الأنعام .

ثم ينزل الأمين جبريل بعد ذلك بمحكم بيان ربك :  
 ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ  
 يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا \*  
 وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ  
 فُرْطًا ) (١١) .

وستمر الأيام حتى يقول خباب بن الارت مبررا عن ذلك الأدب  
 الذى تأدب به أصحاب مجلسك رغم كل هذا المدد الربانى الذى نزل  
 فى شأنهم وموضحا لنا نفسية هؤلاء المستضعفين المستنيرين بهديك  
 وهدى ربك :

كنا نقعد مع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا بلغنا الساعة التى يقوم  
 فيها قمنا وتركناه حتى يقوم .

وتلك صور من أروع الصور الإنسانية التى رأيناها فى رحابك  
 يا رسول الله ، لأننا نرى فيها الاستقامة والصراحة فى الحديث بين  
 رب العالمين ونبي العالمين ، ثم نرى فيها الأدب الإنسانى لسلوك الجماعة  
 التى ترعاها السماء بالغداة والعشى ، والعظمة النفسية لك يا رسول الله  
 واضحة أمامنا فى هذا الموقف ، لا أنفة ولا كبرياء ولا مساومة فى  
 مجال العقيدة أو مجال البناء الاجتماعى لأمة الإسلام .

---

(١) الآية ٢٨ من سورة الكهف .



— ٥٥ —

وإنمّا استقامة وصدق فى إبلاغ رسالة ربك ولتتحمل نفسك  
الصافية هذا الأدب الربانى يهديك الله به إلى معارج السمو .

أية صورة رائعة تلك التى تطالعنا ونحن نقرأ جملة هذه الآيات مرات  
ومرات لنرى على بعد الزمان والمكان وقعها عليك .

طوبى لك يا رسول الله .

لقد أدبك ربك فأحسن تأديبك .

---

## واذكر ربك اذا نسيت

قال تعالى :

( وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا \* إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ  
وَأَذْكُرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ  
هَٰذَا رَشَدًا \* )<sup>(١)</sup>.

في هذا العصر وقد بلغ العلم المسادى شأوا عظيما ، وطرقت طفرات  
أقرب ما تكون إلى الخيال ، جعلت الكثيرين ينسون في خضم دهشهم  
قيم الدين ومبادئه ومفاهيمه ، بل ربما ظن بعضهم أن الأديان قد  
طمست معالمها وضاعت دروبها وسط عواصف المدنية العاتية ، وقد  
جهلوا أن العلم نتاج أولى لبعض ما يدعو إليه الدين .

ولو تخيلنا البشرية منذ فجر نشأتها بدون دين وبدون رسل تهدي  
وأنبياء تقوم الاعوجاج البشرية في أممهم لوقفت الإنسانية في جمود  
عقلي . ولم يكن حتى لكلمة الحضارة مكان في قاموس حياتها .

أسوق هذا الحديث لشعور سائد في النفوس بضعف الوازع الديني  
وانعدام محاسبة النفس عن تصرفاتها في خضم دنيا لاهية عابثة يجرى

---

(١) الآيةان ٢٣ ، ٢٤ من سورة الكهف .

فيها الإنسان ويلهث خلف سراب الخداع وقد أعمته الأطماع عن رصيد الذنوب التي تتضاعف وتنمو في مناخ أبعد ما يكون عن صلاحيته للقيم الدينية .

ولكننا يا رسول الله لا ننكر هديك وقيمك الدينية والأخلاقية ولا ننكر آثار هذا كله في تقدم البشرية عل درب تطورها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من تقدم علمي مذهل .

ولا نبالغ ونحن نقرر والتاريخ يشهد أن البشرية ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا بعلمك الذي أقامه علماء أمتك أجيالا وراء أجيال حتى تلقفه الأوروبيون وفجروا عصر نهضتهم إلى أن وصلت حالهم إلى ما نرى ، بينما وقفت أمتك منذ قرون حائرة ضائعة تحت ضغوط استعمارية وتيارات داخلية تزعزع كيانها وتؤود تقدمها .

ولقد ظلموا أمة الإسلام حينها حملوها أوزار أجيال من الاستكانة والنوم الذي فرض عليها .

فقد نشر الغرب المسيحي قلاعه وأنجه إلى الشرق غازيا عسكريا وفكريا منذ ستة قرون ، وقد حاول بذلك طمس العقول وتقويض الحضارات حتى يستطيع أن يستنزف الموارد .

وكان له ما أراد . . . .

تلقف الشراع فأبحر به ، وتناول السراج فأضاء به ، وأظلمت دنيا الشرق قرونا طويلة حتى أراد الله لها أن تصحو من سباتها وتنفض

غبارها وتذكر تاريخها ولكنها حين نهضت رأت الدنيا غير الدنيا ،  
فسابقت الزمن لعلها تحصل على بعض ما فقدته من تكالب الغرب عليها  
وتمزيق أوصالها كالذئب المسعور .

وفى خضم هذا الصراع ضاعت المفاهيم الدينية تحت وطأة التعاليم  
الاستعمارية التي غرسها الغرب خلال قرون الاستعمار المظلمة حتى أفقد  
المسلمين الثقة في علوم دينهم ونسوا أنه أساس وجودهم بل إنه ما جاء  
إلا لخير البشرية ودفعها إلى الأمام على درب التقدم والعلم والتطور .  
وأسوق مقدمتي هذه المختصرة عن العلم والدين في مجال الحديث  
عن صورة جميلة من الصور العديدة في رحاب سيرتك يا رسول الله  
والتي تتصل بالعلم .

إنها صورة تروى لنا كيف حاول المشركون اكتشاف كنه علمك  
ومقداره ومصدره ، وقد استعانوا على ذلك بأحبار اليهود لعلهم  
يجدون لديهم ما تخيلونه عقبات في سبيل دعوتك .

وخلال كل هذا نرى أن السماء بحكمتها لا تنسى السلوك النبوي تمدد  
بمعجز البيان فقد جلس رجال قريش يوما بمكة يقلبون الأمر في شأن  
ما جاء من آيات ربك الكريم ويبحثون بعقول أعماها الحسد عن هذا  
العلم الذي هبط عليك وهم لا ينكرون أنك الأئمة الذي لا يقرأ ولا  
يكتب ، وقد جهلوا أن ما جاءك إنما هو العلم اللدني ، مصدره السماء  
يحملة الوحي الأمين من اللوح المحفوظ إلى القلب البصير المنير ليشع  
منه على أهل الأرض ليكون دستور الحياة وشرعة الدين والدنيا .

وفى مجلسهم هذا قام النضر بن الحرث يلخص رأى قومه فيما حزب  
بينهم من أمر دعوتك وأستاذك يا رسول الله فى أن أورد مقالة النضر  
ابن الحرث فى هذا المقام لأنها تصور لنا رأى القوم فى جمال خلقك  
وصدق رسالتك رغم عداوتهم ورغم كبرياء الشرك الأجوف الذى  
حال بينهم وبين اللقاء السريع مع دعوتك السمحة الواضحة التى  
ما جاءتهم إلا بعز الدنيا وخير الآخرة .

قال النضر بن الحرث :

يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ،  
قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا  
وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم  
به قلم : ساحر . لا والله ما هو بساحر . . لقد رأينا السحرة ونفهم  
وعقدهم . . وقلم : كاهن . . لا والله ما هو بكاهن . . قد رأينا  
الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم . . وقلم : شاعر . . لا والله ما هو  
بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه . . وقلم :  
مجنون لا والله ما هو بمجنون . . لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا  
وسوسته ولا تخليطه . . يا معشر قريش فانظروا فى شأنكم فإنه والله  
لقد نزل بكم أمر عظيم . . وهى مقالة تعبر — كما نرى — عن الحيرة  
والقلق من ألد أعدائك يا رسول الله ، النضر بن الحرث الذى قال  
سأنزل مثل ما أنزل الله . . هذا الذى طاف بفارس وتعلم سيرة ملوكهم  
وظن أن أساطيره أقرب إلى قلوب قريش من معجز البيان الذى جاءك  
به جبريل الأمين .

وتقرر قريش أن تبعث به ومعه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم الأنبياء لعلهما يأتیان إليها بمجديد يجادلون به صاحب الدعوة .

وذهب الإثنين إلى المدينة فقابلا أحبار اليهود ووصفا لهم صاحب الدعوة وأخبراهم ببعض قولك يا رسول الله وقالوا لهم : إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقال لهما أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم :

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول .. ما كان أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب .

وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟

وسلوه عن الروح ما هي ؟

فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

وعاد الإثنين إلى مكة يحملان ما ظناه اختباراً لعلمك حتى قالوا :

يا معشر قريش .. قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد .. قد أخبرنا اليهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها .. فإن أخبركم عنها فهو نبي وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم .

وتجتمع القوم وجاءوك قائلين : يا محمد ! أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب .

وعن رجل كان طوفا قد باغ دشارق الأرض ومغارها .

وأخبرنا عن الروح ما هي ؟

فتقول لهم يا رسول الله : أخبركم بما سأتم عنه غدا . . ونسيت أن تقول لإنشاء الله .

وكتب السيرة تخوض ماشاءها الله أن تخوض في هذه النقطة بالذات !! .  
فتذكر أن الوحي انقطع عنك خمس عشرة ليلة حتى أرجف أهل مكة وقالوا :

وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه .

وإن هذا كله يحزنك أشد الحزن ويشق عليك ما يتكلم به أهل مكة وما يرجف به المرجفون ، ثم يذلف جبريل الأمين من السماء إلى الأرض يحمل إليك آيات سورة الكهف ، فتقول لجبريل : لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سوت ظنا .

فيقول جبريل عليه السلام :

( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا )<sup>(١)</sup> .

---

( ١ ) الآية ٦٤ من سورة مريم .

ثم يتلو عليك سورة الكهف مبتدئاً بحمد ربك :  
( اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتٰبَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهٗ  
عِوَجًا )<sup>(١)</sup> .

وتتوالى حبات الدر تأخذ مكانها فى عقد هذه السورة الرائعة التى  
أفحمت قريش ومن لقنها من أجبّار اليهود .

ونحن يا سيدى يا رسول الله نرى أن الأنبياء كلهم بشر وليس  
البشر كلهم أنبياء ، وأن المؤمن على خبر السماء لا ينسى ذكر ربه  
ولا يغفل عن مشيئة بارئه .

وأنتك معصوم عن مثل هذه البديهيّات فى دنيا النبوة وعالم  
الرسالات . والموضوع كله كما جاء فى سورة الكهف لا يخرج عن  
أدب السماء لعبادها المؤمنين وتعزية ربانية لما يلاقيه المؤمنون المجاهدون  
من عنت وإرهاق فى سبيل الحفاظ على كيان العقيدة وتسليّة لك  
ولصحابتك والمنضوين تحت لوائك بذكر ما كان من أصحاب المبادئ  
والقيم والعقائد ليكون سلوكهم مثلاً ومقياساً كمفهوم أخلاقى :

( نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِآلِحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ  
وَزِدْنَاهُمْ هُدًى \* وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ  
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا )<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) الآية ١ من سورة الكهف .

( ٢ ) الآيات ١٣ - ١٤ من سورة الكهف .



فسرد آيات قصة الفتية أصحاب الكهف توضح للمسلمين كيف يكون الثبات على الإيمان وكيف تكون قوة العقيدة باعثاً على الالتزام بها وبتعاليمها واعتزال الدنيا كلها في سبيل صيانتها والحفاظ عليها . هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم هدى فاعتزلوا الناس وتركوا مصالحهم ودنياهم إلى وحشة الكهف لا يؤنسهم إلا كلهم .

هذا المعنى الذى يسوقه النظم القرآنى الفريد لأصحاب القيم والمثل والمبادئ فى كل زمان ومكان ليرسم لهم سبل التعامل مع دنيا التكالب على الأثرة والأنانية وحب النساء والبنين والقناطير المقتطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة ، ويوضح لهم نهج عالم مثالى يبنى على التضحية والشجاعة والثبات أمام طوفان الظلم وإعصار الباطل ، لتبقى فى النهاية الخطوط الواضحة العميقة لكل حق وكل عدل وكل قيمة أخلاقية ولو كان السبيل إلى ذلك هذا الأسلوب السلمى الذى سلكه الفتية المؤمنون .

إنها بهذا قصة الهجرة إلى الله .

والفرار بالدين والعمل والسلوك إليه .

ثم تتوالى حبات الدر :

( وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا \* إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَهَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا \* فَاتَّبَعَ سَبَبًا )<sup>(١)</sup> .

---

( ١ ) الآيات ٨٣ - ٨٥ من سورة الكهف .

وقصة ذى القرنين توحى للمسلمين بتسكين الله جل شأنه لبعض عباده فى الأرض وإيتائهم القوة والقدرة على الإصلاح والفصل بين أهل الفساد ، وعزلهم عن خير العباد بإقامة هذا السد العظيم الذى أقامه فى وجه يأجوج ومأجوج .

إلا أن عظمة الخالق المبدع إذا حان الأوان المعلوم جعلته صعيدا جرزا :

( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ) (١) .

وهو سياق يتمشى مع سيرة أصحاب الكهف من ثورة على الفساد والطغيان ومحاولة عزله وتجنبه .  
هؤلاء باعترال اندنيا إلى الكهف .

وهذا بالسياحة شرقا وغربا يعذب الكافرين ويقول للمؤمنين من أمره يسرا .

ثم ينتهى به الأمر إلى إقامة هذا السد المنيع الصلد لعزل يأجوج ومأجوج عنوان الفساد عن دنيا الخير وعالم الرشاد ، حتى :

( . . . نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ) (٢) .

وهو تركيز على أن الهجرة لله وأن إلى ربك المنتهى .

---

( ١ ) الآية ٩٨ من سورة الكهف .

( ٢ ) الآية ٩٩ من سورة الكهف .

ثم تستمر كتب السيرة — بحسن نية — فتورد الإجابة على المسألة  
الباقية التي علق اليهود لإيمان قريش برسالتك عليها :

( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ  
مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا )<sup>(١)</sup> .

ولكن السورة بمعجز بيسانها تعطى الدرس الواضح على قدرة العليم  
الخبير جل شأنه في الرد على عبث العابثين الذين خيل إليهم أن  
مجادلاتهم الكلامية ستعوق سير الدعوة وتؤود تقدمها فيقول جل شأنه :

( قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ  
تُنْفَذَ كَلِمَتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا )<sup>(٢)</sup> .

ذلك قدر علم الله ومقدار كلماته ..

سبحانك يارب ... يا عليم ... يا خبير : : :

ولكن ما يهمننا إبرازه في هذه الصورة الفريدة من رحاب سيرتك ،  
ذلك الأسلوب الفريد المعجز الذي يلفت النظر بلطائف نسائمه إلى  
تذكير المؤمنين بربهم : : : ويأمرك يا رسول الله في لطف لطيف وحديث

( ١ ) الآية ٨٥ من سورة الاسراء .

( ٢ ) الآية ١٠٩ من سورة الكهف .

يكاد يشبه الهمس ألا تنسى مشيئة ربك إذا وعدت أو عزمت على عمل  
فيقول جل شأنه :

( وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ  
وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ  
مِنْ هَذَا رَشَدًا )<sup>(١)</sup> .

وأنت العالم لحدود ربك الكريم . .

تكمل أمرك إلى الله وتكمل دينك وأخرك لبسائها .

ألم يقل جدك إبراهيم من قبل عن ربه :

( وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي )<sup>(٢)</sup> .

فهل يفوتك شيء من هذا وأنت دعاء إبراهيم واستجابة الرحمن الرحيم .

معاذ الله ياسيدي يا رسول الله أن تنسى ذكر ربك .

وأنت الأمين حفيد إبراهيم الذي وفي .

والأمر كله لا يعدو أن يكون هديا من هدى ربك وأدبا سماويا

لخير أمتك ليعتمد العباد على ربهم ولا يغتروا بقوتهم ولا يقدموا على

عمل إلا والله حسبهم وهو وإيهم : ذاكرينه دائماً ، لأن في هذا الذكر

عرفانا بعلم الله وقدره وتذكيرا دائماً للوحدانية دين السماء وشريعة  
الآديان .

( ١ ) الآيتان ٢٢ ، ٢٣ من سورة الكهف .

( ٢ ) الآيتان ٧٩ ، ٨٠ من سورة الشعراء .

— ٦٧ —

وأنت يا رسول الله قدوة المسلمين .

وأسوة المؤمنين . .

فنسأل الله أن يقويننا على نهج نهجك والنسج على منوالك . .

وما نحن ببسالغى بعض ذلك إلا بشق الأنفس . .

لأنك على خلق عظيم . .

وأدبك ربك فأحسن تأديبك .

---

## ما زاغ البصر وما طغى

قال تعالى :

( سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ  
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْتَانِ إِنَّهُ هُوَ  
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ \* ) (١) .

أظلمت الدنيا في مكة يوم حاول المشركون إطفاء شعاة الإسلام التي بدأت تنير القلوب وتهدي النفوس ، وطمست الحقيقة يوم وقف زبانية الوثنية ودعاة الشرك يحاولون إزالة المعالم التي بثتها الدعوة في مجتمع مكة وما حولها ترشد الناس إلى دروب الخير .

وشرد الناس في متاحات الضياع وقد كاد صوت الحق يختنق وسط صيحات الاستهزاء بالدين الجديد ، وهجير مكة يفتح قلوب المؤمنين ، وسيات سادتها تلهب ظهور المستضعفين الذين لا يملكون غير شعارهم :  
أحد . . أحد . .

وسط كل هذه الكربات تموت خديجة ويموت أبو طالب لتري قريش أن الفرصة سانحة لزيادة حملاتها المسعورة على الدعوة .  
وازدادت قلوب أهل مكة صلابة وقسوة ، فها هو سفيه قريش ينثر التراب على رأسك يا سيدى يا رسول الله وقد قامت إليك إحدى بناتك تبكى وهى تزيل عنك التراب فتقول لها :

(١) الآية ١ من سورة الإبراء .

يا بنية لا تبكى فإن الله مانع أباك . ما نالت منى قریش شيئا أكرهه  
حتى مات أبو طالب . .

وتجمدت الدعوة وسط جليد النفوس وصلابة القلوب وقسوة  
العداء .

وتقرر الخروج وحده يا رسول الله إلى ثقيف بالطائف تلتمس  
متنفسا جديدا للدعوة وميدانا أرحب تتحرك فيه العقيدة . ويلجأ إليه  
المسلمون .

ولكنك ما تكاد تصل إلى الطائف حتى ترى أنها لا تقل إظلاما عن  
مكة ، ولا تقل القلوب فيها بشاعة وقسوة عن تلك التي خلفتها في  
دروب مكة وشعابها . هؤلاء الذين واجهوا نداءات الحق والرحمة  
بصيحات الاستهزاء والكراهية

وكما امتلأت مكة بالسفهاء . انقلب أهل الطائف كلهم إلى سفهاء !!  
فما إن تعرض دعوتك حتى يقول لك أحدهم :  
ما وجد الله أحدا يرسله غيرك .

ويقول سفيه آخر :

والله لا أكلمك كلمة أبدا ، لأن كنت رسولا من الله كما تقول ،  
لأنك أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولأن كنت تكذب على  
الله ما ينبغى لي أن أكلمك . .

تباً لهؤلاء القساة الخفاة؟؟

ولكنها إرادة الله وقدره ، فقد ولى عز الدنيا ورضا الآخرة وخلود  
الذكر عن الطائف حين ردت دعوتك يا رسول الله وأغلقت قلوبها  
عن ندائك .

سيكون هذا الخير من نصيب يثرب . دار هجرتك يا رسول الله ..  
وسيكون خير الدنيا والآخرة من حظ هؤلاء الذين آووا ونصروا..  
وتنصرف عائداً إلى مكة . ولكن هؤلاء القساة الخفاة يغرون  
غلمانهم وعبيدهم بك يا رسول الله ، يسبونك ويصيحون بك وقد  
أدموا قدميك الشريفتين بالحجارة فتلجأ إلى بستان لعتبة بن ربيعة  
تستظل بكرمة عنب وتريح نفسك من هذا الموقف المشن لسادة ثقيف  
هؤلاء الغلاظ الأكباد الذين سينجبون أقسى قلب وأجنى طبع عرفه  
الإسلام والذي سيخوض إلى السلطة بحارا من الدماء وأنهارا من  
العداء والكراهية والقسوة ، إنه الحجاج بن يوسف الثقفى الذى سيقرد  
اسمه بزياد بن أبيه بعد ذلك إذا ذكر الإرهاب والتنكيل .

حقا يا سيدى يا رسول الله لقد ولت الفرصة وأفلتت من الطائف  
وأعرض عنها الخير يوم ردتك هذا الرد العنيف .

يومها رفعت يديك إلى السماء وأنت تستند إلى الكرمة فى بستان عتبة  
وشيبة ابنى ربيعة تناجى ربك :



( اللهم إليك أشكو ضعف قوتي : وقلة حيلتي : وهواني على الناس : يا أرحم الراحمين : أنت رب المستضعفين وأنت ربي : إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني : أو إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي : ولكن عافيتك أوسع لي : أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك : أو يحل علي سخطك . لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك ) .

وتنصرف عن الطائف يائسا من إيمانها عائدا إلى مكة وفيما أنت بنخلة وقد قمت من جوف الليل تصلى لربك يمبرك نفر من الجن يؤمنون برسالتك ويستمعون لقرآن ربك فيؤمنون ويحييون ليكون في ذلك بعض العزاء من ربك اللطيف الذي يقص عليك خبر هؤلاء النفر من الجن في سورة الأحقاف :

( وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ \* قَالُوا يَاقَوْمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ \* يَاقَوْمُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \*

وَمَنْ لَا يُجِيبُ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ <sup>(١)</sup> .

وتعود بعد ذلك إلى مكة تواجه المعركة الضارية التي تشنها قريش في وجه الدعوة . وتمضى الأيام والموقف على ما هو عليه وأنت أكرم الرسل وأقربهم إلى الله جل شأنه . فلتكن رحلة الإسراء والمعراج علامة الرضا ودليل الكرم من رب العالمين .

ولا يتأتى لأحد منا أن يناقش الإسراء والمعراج بذهن مادي يهوى التجربة ويغريه المنطق البشري حتى في رسالات السماء وسير الأنبياء :

ولو أن القرآن الكريم لم يذكر التفاصيل الخاصة بالإسراء والمعراج إلا أنه يؤيد بآياته الكريمة ما ورد في رحاب السيرة العطرة من صور مشرقة .

وأول ما يطالعنا في الإسراء والمعراج تلك الصورة النادرة المضيئة وسط دياجير الدنيا وظلمات الشرك في مكة . يوم أسرى بك الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . يوم حملت على البراق — دابة الأنبياء — ومعك جبريل الأمين حتى انتهيت إلى بيت المقدس

---

(١) الآيات ٢٩-٣٢ من سورة الاحقاف .

فجمع لك الأنبياء ورأيت إبراهيم وموسى وعيسى فقدمك جبريل عليه السلام لتكون لهم إماما :

( سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَايِنَنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ )<sup>(١)</sup> .

وإمامتك للأنبياء شرف كبير خصك الله به وخص به أمتك .  
فهو القائل جل شأنه في كتابه المنزل :

( وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا )<sup>(٢)</sup> .  
ويقول جل شأنه :

( وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَاتَيْنِكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) الآية ١ من سورة الإسراء .

( ٢ ) الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

( ٣ ) الآية ٨١ من سورة آل عمران .

وقد صدق الله وعده حين أنزل عليك في صورة الضحى :

( وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَضَى )<sup>(١)</sup> .

فأنت الشهيد على الأمم يوم تكون الشهادة هي مقدمة الحساب .  
وأنت موضوع الميثاق بين رب العزة ورسله إلى أُم الأرض .  
فإمامتك الأنبياء في المسجد الأقصى إمامة حقة بدعوتك ورسالتك  
وشهادتك وهذه الإمامة فوق أنها رضا ربك وعطاؤه فهي تمثل  
إمامة أمتك لأُم الأرض ، فهي الأمة الوسط بين الأمم وهي الشاهدة  
على الناس أجمعين ، وأنت يارسل الله الشاهد يوم يكون للشهادة  
حساب دقيق .

والإسراء والمعراج رحلة نورانية عالية القدر ، أَعَدَّهَا لك الله  
لتطيب نفسك ويطمئن قلبك ولترى وتعاين إمامتك وإمامة أمتك  
لأُم الدنيا .

ثم لترى أفضال ربك عليك حتى ترى آياته .

فما إن تنتهي من صلاتك في المسجد الأقصى حتى يوثق بالمعراج  
تصعد به مع جبريل الأمين إلى السموات السبع تاج من أبوابها سماء  
بعد سماء ، ترى آدم ونوحا وإبراهيم ويوسف وموسى وهرون  
وعيسى وإدريس ، وغيرهم صلوات الله عليهم أجمعين . . هؤلاء

---

( ١ ) الآية هـ من سورة الضحى .

الأنبياء الذين أخذ الله عليهم الميثاق ليؤمنوا بك وينصروك حتى إذا انتهيت إلى السماء السابعة ورأيت الخليل إبراهيم عليه السلام صعد بك جبريل الأمين إلى سدرة المنتهى حيث جنة المأوى ، تجاوزت هذا كله لأن مقامك عند ربك ياسيدى يارسول الله فوق ذلك كله .

تجاوزت ما فى السموات والكون كله بما فيه من ماديات إلى رحاب ربك لتتناول منه يارسول الله ثمرة رحلتك المباركة . ومنحته إلى عباده المؤمنين وهى الصلاة : مناجاة الصالحين ، وقرة عين المقرين .

فى هذا الموقف رأيت يارسول الله مالم يستطع لسانك أن يصفه لأنها لحظة من لحظات الرضا التى أنعم الله بها عليك وأنت تقف خاشعا فى رحاب ربك يخاطبك وتحاطبه ويفرض عليك وعلى أمتك الصلاة ولتعاين بنفسك مقامك الكريم من ربك العزيز الحكيم .

كيف تم هذا ؟ وماذا دار فى هذا اللقاء ؟

لقد أردت أن تطويه عنا يارسول الله لإكبارا لربك وإعزازا لهذه المناسبة ، وتكريما لهذا المقام واحتراما لهذه الرحاب وتأدبا فى هذه المواقف

يكفى أن نعلم انك بلغت سدرة المنتهى حيث جنة المأوى ثم تجاوزتها إلى رحاب ربك ليمنحك ثمرة من ثمرات عقيدتك وهى الصلاة لتكون ركنا من أركان دينك .

وفى هذا الموقف يحدثنا القرآن الكريم فى سورة النجم :

( وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ \* وَمَا يَنْطِقُ  
عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ \*  
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ \* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ \* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ \* فَكَانَ  
قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ \* فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ \* مَا كَذَبَ  
الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ \* أَفَتُمَرُّوهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ \* وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ \*  
عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْمُورَىٰ \* إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ  
مَا يَغْشَىٰ \* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ \* لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ  
الْكُبْرَىٰ \* )<sup>(١)</sup> .

وتعود يارسول الله إلى السموات السبع لتعاین تلك الفئات التى  
تمثل عينات من السلوك الأخلاقى للبشرية :

هؤلاء أكلة أموال اليتامى فى أيديهم قطع من نار كالأحجار  
يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم .

وهؤلاء الزناة بين أيديهم لحم طيب يتركونه ويأكلون اللحم  
الخبيث النجس .

وهؤلاء خطباء الفتنة تقرض ألسنتهم وشفاهم بمقارض من حديد.

---

( ١ ) الآيات ١ - ٨ من سورة النجم .

عينات رمزية ونماذج لأخلاق هؤلاء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم .

ونحن لا يتأتى لنا أن نساير هؤلاء الذين يرفضون مثل هذه النُصُور التي زخرت بها كتب السيرة العطرة لأنها تمثل لدينا كيف ترتبط الأخلاق بالدين قبل أن ترتبط بأى شئ آخر .

إن الأخلاق والفضائل قيود في نظر الكثير من المجتمعات الحديثة ولكنها في نظر عقيدتك يا رسول الله رابطة بين العبد وربّه فتبعتها إلهي مصدره السماء ، وهي وسيلة الولوج إلى رحاب الله وبدونها لا يمكن أن تكتمل شخصية الإنسان المؤمن الكامل .

هذه هي ثمرات رحلتك النورانية إلى رحاب ربك يا رسول الله :  
معرفة واضحة ومعاينة ذاتية لمكانك السامي عند ربك الكريم .

وصلاة موقوتة كركن من أركان دينك الحنيف .

ونماذج من الأخلاق والسلوك تربطه بالقيم الدينية وأوامر الله ونواهيه .

ثم هناك نتيجة كانت ضرورية لهذه الرحلة وهي تصفية هؤلاء الذين لم يرق إيمانهم إلى المستوى اللازم لنصرة العقيدة فانتكس ضعيفو الإيمان حينما سمعوا بهذه الرحلة المباركة : ولم يدر بخلداهم أن قدرة الله فوق إدراكهم وفوق تصورهم بل وفوق خيالهم .

وتمت هذه التصفية فعلا فانتكس من انتكس وارتد عن الإسلام خلق كثير .

ولكن تطالعنا صورة مشرقة جميلة لهذا الصحابي الجليل أبو بكر الذي لم يكذب يسمع قصة الإسراء والمعراج حتى قال قبل أن يراك أو يسمع منك يا رسول الله :

لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؟ فوالله أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد ما تعجبون به .

ثم يتوجه إليك يا رسول الله ويسألك الخبر ويطلب منك وصف المسجد الأقصى فتصفه له وهو يقول صدقت أشهد أنك رسول الله وهنا تقول له : أنت أبو بكر الصديق .

ذلك منهج الإسلام في فهم قضايا الربانية : الصديقية .

ولكن الدنيا غير الدنيا يا رسول الله . والرجال غير الرجال والعقول غير العقول ، والنفوس قد علاها الصدأ ، والأخلاق بليت والقيم تعفت : وتحولت المفاهيم ربما لأضدادها .

فالدين رجعية والأخلاق قيود والإيمان شعوذة .

وتطور العلم ليكون مخلب قط للكفر والإلحاد .

وقامت فئة من الناس تضع الموازين لسيرتك ، تقيسها بمقاييس الأجنبي البعيد عن مفاهيم دينك .



— ٧٩ —

نستغفر الله ياسيدى يارسول الله :

إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون .

وإلى رحابك الطاهرة نتوجه مستلهمين سيرتك العطرة تزيل صدا  
النفوس وتنير ظلام القلوب .

سيدى يارسول الله .

نتوسل بك إلى العلى القدير أن يرفع الغمة عن دينه ليسكون هو  
دستور حياتنا ، وأن يرفع هذه السحب التى رانت على القلوب  
فخفيت المعالم وطمست المفاهيم .

وأن يجنبنا محنة الطائف يوم ردتك ليذهب عنها عز الدنيا  
والآخرة .

ويوم نقبل يارسول الله على عقيدتك — بعد هذا الإعراض الطويل —  
سنعلم إلى أى طريق يجب أن نسير .

— — —

## لا تحزن ان الله معنا

قال تعالى :

( إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي  
أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ  
مَعَنَا . . . ) (١)

تجمدت الدعوة وسط بحار الكراهية والحقد ، واستطاع المشركون  
حصارها فلم يسلم مشرك واحد طوال السنوات الثلاث التي سبقت  
الهجرة ، لاقى فيها المسلمون ألوانا من العنت وصنوبا من العذاب :  
ولكن ندائك لم ينقطع يا رسول الله وأنت تدعو القبائل في المواسم  
قائلا :

( يا أيها الناس : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب  
وتذل لكم العجم وإذا آمنتم كنتم ملوكا في الجنة ) .  
ولكن قريشا تبعث سفهاءها وعلى رأسهم أبو لهب ينادى :  
لا تطيعوه فإنه صابئ كاذب .

---

( ١ ) الآية ٤٠ من سورة التوبة .

فتعرض عنك القبائل وترد أقبح الرد :

أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك .  
ولكن أئى للرسالات تظمسها الأهواء والأحقاد ؟

وأئى للنفوس العالية تقف أمامها العقبات .  
وإمداد السماء لا ينقطع ورضاها لا ينضب .

وقد آن لهذا النبع الهادئ الصغير للدعوة الإسلامية أن يتحول إلى  
نهر عذب يغذى الدنيا بفصائل إلهية وشرائع سماوية حتى آخر الزمان :  
ويسوق الله إليك مدده مع هؤلاء النفر من الخزرج وقد قابلتهم  
عند العقبة فى موسم الحج فيدور معهم الحوار الآتى :

من أنتم ؟

نفر من الخزرج . .

أمن موالى يهود ؟

نعم . .

أفلا تجلسون حتى أكلمكم :

بلى .

ويجلس هؤلاء النفر نواة النصر ، لتعرض عليهم الإسلام وتتلوا  
القرآن .

وكان هؤلاء النفر من الخزرج قد عاشروا يهود يثرب وعلموا  
منهم أن هناك نبيا قد أظل زمانه ، فقال بعضهم إلى بعض ؟ تعلمن ،  
والله إنه للنبي الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه .

وهنا تتفتح نفوس وتسموا الأرواح وترتفع الجباه لتعرف حقيقة الوجود وتعلم كرامة الإنسان الذى أنى الله عليه أن يسجد لصنم أو يخضع لوثن .

وتؤمن لك هذه النواة الصالحة وتصدقك ويقول عاقلها :  
إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى الله أن يجمعهم بك وستقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبتك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك .

وكان هذا المدد الإلهي ستة نفر . . هم أول الغيث .  
وعادوا إلى يثرب على أن يكون موعدهم معك يارسول الله هو نفس الموعد من العام القادم . . فدعوا قومهم إلى الإسلام ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر لك ولدينك .

وبعد عام وفى الموسم منهم اثنا عشر رجلا . . لقوك بالعقبة ليبياعوك وهى العقبة الأولى فبايعوا : ( على ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان نفترينه بسين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف ) .

فتقول لهم : فإن وفتم فلكم الجنة ، وإن غشيتهم شيئا من ذلك فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم<sup>٧</sup> وإن شاء غفر لكم .

وتبعث معهم يارسول الله مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام .

وبعد عام خرج الأنصار إلى الحج وهم سبعون رجلا من الأوس والخزرج حتى قدموا إليك ومعهم امرأتان وواعدتهم منى وسط أيام التشريق لتجتمع بهم ومعك عمك العباس : الذي وقف يقول :

يا معشر الخزرج إن محمدا منا حيث قد علمتم : وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا ، وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللاحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه من مخالفه : فأنتم وما تحلمتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلسوه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

فقال البراء بن معرور :

لقد سمعنا ما قلت وإنا والله لو كان في أنفسنا غير ما تنطق به لقلناه ولكننا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتقدمت بذاتك الكريمة يارسول الله تتلو القرآن وتدعو إلى الله وترغب في الإسلام وتقول لهم :

أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم .

وهنا يأخذ البراء بن معرور بيدك الكريمة ويقول : والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا — أى نساءنا — فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب وأهل اخلقة ورثناها كابرا عن كابر .

وقام أبو الهيثم بن اثيهان قائلا : يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالا وإنما قاضعوها — يعنى اليهود — فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا .

فتقول له : بل الدم الدم — والهدم الهدم — أنتم منى وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ، وتختار منهم اثني عشر نقيبا تقول لهم : أنتم على قومكم كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي :

وباع القوم وانصرفوا إلى المدينة .

ولكن قريشا تكتشف في النهاية أنها كانت بلهاء ، وأن الدين بالحديد قد وجد له أنصارا كثيرين في المدينة وأن الصيد يفلت من يدها وتحت نظرها وهي ترى المسلمين يهاجرون من مكة إلى المدينة وقد مضى عليهم ثلاثة عشر عاما يقاسون ألوانا من الحقد والكراهية والقسوة والعنت ولكن هديك يا رسول الله قد أذهب أثر ذلك من نفوسهم وبدا المهاجرون كوفود فدائية خلفت وراءها في مكة المسال والولد وضحت بالغالى والثمين حبا في الله ورسوله .

ولم تكن الهجرة بعد هذه المسيرة الشاقة التي قطعها الدعوة في مكة  
هجرة إلى الدعة : بل كانت هجرة إلى الكفاح والجهاد على أرض  
جديدة :

هجرة إلى العمل في سبيل إعلاء راية الدين .

هجرة إلى مبادئ الخير بعد أن كادت تطمسها وثنية قريش .

هجرة خالصة لله ورسوله حيث يقوم دين جديد كتب الله له  
النصر وحيث تحيا أمة أراد الله لها الخير والرفعة والرشاد ۞

ورغم مؤامراتك يا رسول الله بين المهاجرين والأنصار حينما استقر  
بك المقام في المدينة ، ورغم الروح العالية والتسامح النادر الذي قابل  
به الأنصار ، هؤلاء الوافدين من مكة حتى إن أحدهم وهو سعد  
ابن الربيع وقد نزل عليه عبد الرحمن بن عوف يقول له : هذا مالى  
فأنا أقاسمك ، ولى زوجتان فأنا أنزل لك عن إحداهما .

ولكن عبد الرحمن بن عوف يلخص رأى المهاجرين في الهجرة  
وعدم ركونهم إلى الكسل ومقاسمة الأنصار أرزاقهم فيقول له :  
بارك الله لك ، ولكن إذا أصبحت فدلونى على سوقكم ويخرج  
يتاجر ويربح الكثير .

فالهجرة عمل وبناء وكفاح وجهاد .

وهي تضحية كبيرة في سبيل الله وفي سبيل الدعوة .

تضحية من المهاجرين الذين باعوا دنيا مكة بكل ما فيها من الأهل والولد والمال والمتاع إلى دنيا الله وصلتها الوثيقة بالآخرة .

وتضحية من الأنصار الذين آووا ونصروا وتقاسموا الثمرة عن طيب خاطر مع الوافدين من مكة ؛ وتعرضوا لحرب الأحمر والأسود من الناس يوم بايعوا بيعة العقبة .

خرج المهاجرون أرسالا إلى المدينة وأنت تنتظر يارسول الله الإذن بالهجرة .

ويأتيك الصديق كل يوم يستأذك في الهجرة فتقول له : لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً .

وهنا تجمع قريش أمرها لتمنعك من الهجرة أو تتخلص منك لتقضى على الدعوة كلها ؛ فتجتمع في دار الندوة وتوافق على اقتراح أبي جهل بأن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً ثم يعطى كل منهم سيفاً صارماً يضربونك به ضربة رجل واحد ؛ قاتلهم الله أنى يوفكون ، وبهذا لا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً .

وهي فكرة باركها الشيطان ، ولكن الوحي الأمين يأتيك من ربك العلم الخبير ينبئك بالخبر ويأمرك ألا تنام في مضجعك تلك الليلة وتخرج إلى أبي بكر وتقول له :

إن الله قد أذن لى في الخروج .

فيقول لك : الصحبة يارسول الله .

فتقول له : نعم .



وتأمر عليا فينام في فراشك ويتشح ببردك اخضرى الأخضر حتى  
لا يخلص إليه شئ يكرهه ويجمع القوم أمام بيتك وكل يمك سيفه  
ولمكنك تخرج عليهم وهم جلوس على الباب وتأخذ حفنة من تراب  
وتذرها على رؤوسهم وتتلو قول ربك :

( يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ <sup>(١)</sup> \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* عَلَى  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ  
فَهُمْ غَافِلُونَ \* لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \*  
إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا فَبَيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ \*  
وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَهُمُ فَهُمْ  
لَا يُبْصِرُونَ \* وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* )

وجاءهم رجل فقال : ما تنتظرون ها هنا خبيكم الله ، قد والله  
خرج عليكم محمد وما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه  
ترابا وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟

ويضع كل منهم يده على رأسه فإذا عليه التراب .

وينظرون فيرون عليا على الفراش ويعلمون أخيرا أن الله قدير  
غير ما قدرُوا وفي ذلك يقول جل شأنه :

( ١ ) الآيات ١ - ١٠ من سورة يس .

( وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِيرِينَ )<sup>(١)</sup> .

وتبدأ أولى خطوات الهجرة إلى غار ثور . .

ولكنك يا رسول الله تلقى نظرة على مكة وفيها البيت الحرام وفيها الأهل والعشيرة وتقول :

والله إنك لأحب البلاد إلى نفسي ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت .

وتمضي مع الصديق إلى الغار واثقا من نصر الله وعودتك إلى مكة داعيا ومبشرا بدين الله .

وتدخل الغار حيث أمر الله سبحانه شجرة فنبئت وأمر العنكبوت فنسجت على باب الغار وبجوارها حمامتان وحشيتان فوقتا بقم الغار حتى إذا أقبل فتیان قریش بأسيا فهم وعصيهم وهرأواتهم وكانوا من الغار قلد أربعين ذراعا نظروهم فرأى الحمامتين فرجع يقول :

رأيت حمامتين وحشيتين بقم الغار فعرفت أن ليس به أحد :  
وتسمع ذلك يا رسول الله لتعرف أن الله قد درأ عنك .

---

( ١ ) الآية ٣٠، سورة الأنفال .

ولكن الصديق ما يكاد يسمع حوار المشركين أمام الغار حتى يبكى خوفا عليك يا رسول الله وإشفاقا من موقف يخياه رهيبا مريعا لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا .

ولكنك تبسم يا رسول الله وتقول له : ما ظنك باثنين الله ثالثهما .

وفي ذلك يقول جل شأنه :

( إِنْ لَا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا )  
اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا  
فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة  
الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم<sup>(١)</sup> .

وفي هذه الصورة المشرقة لا يسعنا إلا أن نشير إلى بعض الشخصيات التي عمرت نفوسها بحبك يا رسول الله . ونشأت تحت ظلال عقيدتك ، فعرفت فضلك وامتلأت قلوبها بنور هديك ، فكان لكل منها مكان في هذه الصورة :

هذا أبو بكر الصديق الذي خاطر بنفسه وهو يعلم أن قريشا لا بد ستبيع هذا الركب وتحاول أن تنشب أظافرها وأنيابها تمزق أوصاله يحمل ماله كله ليكون تحت تصرف صاحب الدعوة حينما تحط الرحال في يرب .

---

( ١ ) الآية ٤٠ من سورة التوبة .

وكان أبو بكر يسبقك يا رسول الله مرة ويتبعك مرة أخرى فتسأله عن ذلك فيقول لك : يا رسول الله أذكر التردد فأسبقك وأذكر الطلب فأتبعك .

وهذا عامر بن فهيرة مولى الصديق وراعى غنمه والذي كان يقوم بتوصيل اللبن إلى الغار .

وهذا عبد الله بن أبي بكر الذى كان عليه تبليغ أخبار مكة وتحركات كفارها إلى الغار حتى لا يفاجأ أصحابه بتصرف غادر .

وهذه أسماء بنت أبي بكر التى تولت مهمة حمل الطعام من بيت الصديق إلى الغار ، والتى نسبت والركب يتحرك إلى المدينة أن تصنع للطعام ما تعلقه به فشقت نطاقها وجعلت منه عصاما علقته به الطعام فى الراحلتين فسميت ذات النطاقين .

وهذا عبد الله بن أريقط الدليل الذى ظل على شركه ولم يسلم ولكنه رضى أن يكون دليلا لأكرم ركب وأخطر هجرة كان لها أكبر الأثر فى تاريخ الإنسانية .

وتبدأ الرحلة المباركة إلى المدينة بعد ثلاث ليال فى غار ثور .

ويعلم الله كم تتألم نفسك الصافية وأنت تغادر أرض الآباء والأجداد وتولى ظهرك البيت الحرام بعد أن حرملك المشركون حرية العبادة فيه فيطمئن نفسك بمحكم آياته :

( إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ <sup>(١)</sup> .

وتمر يا رسول الله بركبك المبارك على خيمة أم معبد الخراعية ويسألها  
الركب شيئا من التمر أو اللحم فلا يصيب عندها شيئا .

ولكنك يا رسول الله تنظر إلى شاة عجفاء في ركن الخيمة قد  
خلفها الجهد عن الغنم وتستأذن أم معبد في حلبها وتذكر اسم الله  
وتسمح ضرعها وتقول : اللهم بارك لها في شاتها .

وتحلب حتى تشرب أم معبد ويشرب الركب كله .  
وتحلب مرة أخرى وتتركه لأم معبد .

ويعود الزوج يسوق غنمه واعتريته العجفاء ويسأل عن مصدر  
اللبن ويعجب أشد العجب حين تقول له أم معبد : مر بنا رجل مبارك  
وكان حديثه كذا وكذا . . . .

فيقول الزوج : والله إنى لأراه صاحب قريش الذي يطلب ؛ صفيه  
لى يا أم معبد ، ونحن نستأذنك ياسيدى يا رسول الله أن نورد هذا  
الوصف الجميل المشرق النادر الذي جاء على لسان هذه الأعراية  
أم معبد وما سقنا القصة إلا لسماحه :

( رأيت رجلا ظاهر الوضاعة ، متبلج الوجه ، حسن الخلق ،  
لم تعبهُ ثَجَلَةٌ ولم تزر به صعلة ، وسيم ، قسم ، فى عينيه دمع ، وفى

---

( ١ ) الآية ٨٥ من سورة القصص .

أشفاره وطف ، وفي صوته صحل . أحور أكحل أزج ، أقرن ،  
شديد سواد الشعر في عنقه سطع ، وفي لحيته كثافة ، إذا صمت  
فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء وكان منطق خرزات  
نظم يتحدثون : حلو المنطق فصل . لا نزر ولا هذر أجهر الناس  
وأجله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب : ربة لا تشنؤه من طول  
ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا  
وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به إذا قال استمعوا وإن أمر تبادروا  
إلى أمره ، محفود محشود لا عابس ولا مفند ) .

لله درك يا أمه معبد ! ! إننا نغض الأبصار حياء وخشوعا ونحن  
نتصور هذا الوصف لسيد المرسلين وأكرم الأنبياء على رب العالمين .

لو كان هذا وصف أم معبد لك يارسول الله وقد شرفها مقامك  
الكريم لحظات فكيف تكون الحقيقة الوضاعة ؟

ويخرج التركب من نخيصة أم معبد متوجها إلى يثرب حيث يقابل  
بالنفوس تشلوا والأرواح تهتف والمهج تغنى :

طلع البدر علينا	من ثنيات السوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمير المطاع
جئت شرفت المدينة	مرحبا يا خير داع

ما أخرجنا إلى هجرة كهجرتك يا رسول الله في زمن ضاعت فيه  
المفاهيم ، وتكالبت النفوس على حب الدنيا . حتى أصبح الهم والتلق  
والحسد أعمدة الحياة في دنيا لا تعرف السكينة .

ما أخرجنا إلى هجرة بالنفوس إلى رحاب الله لنرى حقيقة الحقائق  
ونور الأنوار يهذى ضالتنا في عالم كاد يطبق على القيم الدنيوية والحلقية  
ويفسح المجال لكل غث وتافه من القنوع والعمل .

ليتهم يعرفون معنى الهجرة ومفهومها السامى حينما عبرت عنه  
بحديثك الشريف .

(إنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت  
هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته  
لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه ) :

بهذا المفهوم وحده تستقيم الأخلاق وتحيا الأمم وتقوم الحضارات،  
اللهم إياك ندعو أن تجعل أعمالنا هجرة إليك .  
وعبادتنا إليك فرارا إليك .

## درس الجهاد

قال تعالى :

( الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ \* ) (١١).

سيدى يا رسول الله .

سيظل جهادك وكفاحك مثلاً لأمتك ما بقى المسلمون فى حاجة إلى الجهاد والكفاح .

فقد وقفت دائماً على رأس هذه الفئة المؤمنة مثلاً لهم فى سلوكك وعملك لا تبتغى بهما غير وجه الله لتكون أسوة للأسرة الإسلامية .

ولم تجعل العبادة وقفاً على النسل ، بل صار العمل عبادة والكفاح عبادة والجهاد عبادة .

وكانت حياتك كلها يا رسول الله نضالاً وكفاحاً وجهاداً لا يفتر فى سبيل إرساء قواعد الدعوة بمفهومها الربانى ودعم أسسها السلوكى فى نفوس أمة الإسلام لتكون هدياً لأمم الدنيا . ورب العزة يقول :

---

( ١ ) الآية ٢٠ من سورة التوبة .



(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ . . . )<sup>(١)</sup> .

نعم . أنت الأسوة الحسنة يا رسول الله والمثال الضيب والتقدوة  
المضيئة في معارج السمو والرفعة لمن أراد وجه ربه .

وتستوى في سيرتك يا رسول الله صور الرحمة والعفو مع صور  
الكفاح والجهاد في سبيل الله .

لم ترك غزوة لم تشارك فيها : وإذا حمى الوطيس وثار غبار المعركة  
فأنت أقرب الناس إلى العدو : يَحْتَمِي بِكَ أَصْحَابُكَ .

ومواقفك كلها ثبات في وجه العدو في لحظات قد تنخلع لها قلوب  
الرجال .

ولا يفوتنا ونحن نعرض بعضا من الصور المشرقة في رحاب سيرتك  
العطرة يا رسول الله أن نعرض صورة جهادك وكفاحك وقد امتزجت  
بلمحات من عفوكم وكرمكم ونفحات من سماحتكم وجميل خلقكم .

خرج المسلمون في نيف وثلاثمائة منهم إلى بدر لا يريدون غير أبي  
سفيان والركب القادم معه من الشام لا يرونه إلا غنيمة لهم ترد إليهم  
شيئا من أموالهم التي خلفوها في مكة قسرا ، وهم لا يظنون أن يكون  
هناك قتال كبير بين الجمعين وفي ذلك يقول جل شأنه :

---

( ١ ) الآية ٢١ من سورة الأحزاب .

﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ (١).

ولكن أبا سفيان يفلت بعيره وركبه ويبعث إلى قريش يستنفرها ضد المسلمين فتخرج في ألف من رجائها وفرسانها تبغى استعراض قوتها في بدر وتصمم على أن تقيم ثلاث أيام فيها حتى يعلم أهل الحجاز والعرب جميعا ما هي فيه من منعة وقوة .

وتقف على رأس هذه الفئة المؤمنة يا رسول الله نواة أمتك وعماد قوتك وأنت في الطريق إلى بدر وتقول : أشيروا على أيها الناس ، وقد علمت بتعبئة قريش ومسيرتها إلى بدر :  
وهنا نهض أبو بكر الصديق فقال فأحسن :  
ونهض عمر بن الخطاب فقال فأحسن .

ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ( اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ) . . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد — مدينة الحبشة — لجالدنا معك من دونه حتى تباغته :

وقام سعد بن معاذ فقال : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع

---

(١) الآية ٧ من سورة الأنفال .

والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينيك ، فسر بنا على بركة الله .

وهنا تعلم يا رسول الله أن غرسك قد أثمر وأن هديك قد جعل هؤلاء النفر على قلوبهم طلائع زحف فدائي لن يقف مدؤه إلا يوم تعرض النفوس عنه ويلهبها بریق الدنيا عن جميل سيرتك .

وكانت هذه الكلمات التي تكلم بها صحابتك من المهاجرين والأنصار هي العلامة الواضحة لصدق النفس وجمال الروح وسمو الأخلاق هؤلاء الذين أطاعوك يوم نذبهم وهم القلة ليقفوا في وجه الطوفان الوثني الكاسح يوم بدر وأنت يا رسول الله تشجدهمهم فتقول لهم :

( سبروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم ) .

وإنه لبلاء عظيم هذا الذي تعرض له المسلمون يوم بدر وهم يلقون بأنفسهم — على قلوبهم — في وجه الطاغوت القرشي الذي خيل إليه وقد ملأه الغرور أنه يستطيع القضاء على الدعوة الجديدة كلها إذا استطاع التهام هذه الفئة القليلة .

وتحرك المسلمون في ركابك يا رسول الله حتى جاءوا أدنى ماء بدر نزلوا به .

وهنا يتقدم الحباب بن المنذر بن الجموح ويقول :  
يا رسول الله . أرايت هذا المنزل ؟ أمزل أنزلكه الله ليس لنا أن  
تقدمه ولا نتأخره أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

فتقول له : بل هو الرأى والحرب والمكيدة .

فيقول : يا رسول الله فان هذا ليس لك بمنزل فانهض بالناس حتى  
تأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور — أى ندفن — ما سواه من القلب  
ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فتقول له يا رسول الله : لقد أشرت بالرأى .

وتنهض وينهض معك الناس لتعمل برأى الحباب . .

إنها والله يا رسول الله لمدرسة رفيعة فى الحرب والسياسة بدأت بها  
الدنيا تخطو أولى خطواتها نحو الشورى فى عالم كان حكم الفرد فيه هو  
انتقاعه ورأيه هو القانون .

وإنها نحة من حبات هديك فى موقف قد لا يلتفت القائد العسكرى  
إلى مشورة أحد . ولكنك يا رسول الله كنت تضع لأمتك هدياً ،  
وتحدد لها خطاً عميقاً لا تمحوه الأيام من المثل والقيم والمبادئ .

ثم تلمح قريش تنحدر إلى الوادى فتقول :

اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك أ  
اللهم فنصرك الذى وعدتني . .

وها هو عمير بن وهب الجهمي يخرج من صفوف المشركين يحرز أصحابك يا رسول الله ، ثم يرجع إليهم قائلا :

يا معشر قريش قد رأيت الولايا تحمل المنايا . نواضح يثرب ( أى الإبل ) تحمل الموت النافع . قوم ليس هم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم . قد أصابوا منكم أعداءهم فما خير العيش بعد ذلك .

ويقوم الجدل بين المشركين وينقسم الناس على أنفسهم ، منهم من يرى الرجوع إلى مكة دون قتال . وقسم يرى القتال مهما كانت النتيجة .

وأخيرا تواجهت الطائفتان .

ويبرز من قريش الأسود بن عبد الأسد المخزومي . هذا الشرس سيئ الخلق فيعاجله حمزة بن عبد المطلب بسيفه ويقطع ساقه ويسقط على ظهره مضرجا في دماؤه .

ثم يخرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ويخرج إليهم فتية من الأنصار : عوف ومعوذ ابنا الحارث ومعهما عبد الله بن رواحة . . ولكن منادى قريش بقول :

يا محمد . أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا .

فيخرج إليهم أسد الله حمزة بن عبد المطلب ومعه علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث .

— ١٠٠ —

ولم يمهل حمزة شيبة أن قتله .

ولم يمهل على الوليد أن قتله .

ثم يكران مع عبيدة بن الحارث وقد جرح ليجهزوا على عتبة .

وتحمى الحرب وتثور قریش فتزحف على جموع المسلمين .

وقد وقفت يا رسول الله تعدل صفوف أصحابك وفي يدك سهم تشير به إلى القوم وتمر بسواد بن غزية حليف بنى عدى بن النجار وهو متقدم عن الصف فتضربه بالسهم في بطنه وتقول له : استويا سواد بن غزية .

فيقول لك : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق فأقذني ( أى اقتص لي من نفسك ) وهنا تكشف له بطنك وتقول له : استقد .

فينحنى سواد عليها يقبلها .

فتقول له : ما حملك على هذا يا سواد ؟

فيقول : يا رسول الله حضر ما نرى فلم آمن من القتل ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك .

لله در هؤلاء الرجال . .

لشد ما أحبوك يا رسول الله .

ولشد ما أحببتهم وعلمتهم .

— ١٠١ —

إنه عدلك النبوى وسماحتك وجميل خلقك .

لأنهم سادوا وشادوا بكل هذه القيم والمبادئ التى استظلوا بظلالها  
ونعموا بخيراتها بين يديك .

وتجلس يا رسول الله تناجى ربك :

اللهم لأنك إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد بعد اليوم .

ويقول لك الصديق : يا نبي الله بعد مناشدتك ربك فإن الله عز وجل  
منجز لك ما وعدك .

وتخرج من العريش تحرض أصحابك وتقول لهم :

والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا  
مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة .

ثم تأخذ حفنة من الحصباء تستقبل بها قريشا وتقول : شامت  
الوجه :

فكانت هزيمة قريش وقتل ساداتها .

وحفر القلب وطرحت فيه جثث الكافرين . :

أبو جهل وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وصناديد  
قريش من الكافرين والمشركين .

وتقف فى جوف الليل يا رسول الله وتقول لهم :

يا أهل القلب بئس عشيرة النبي كنتم لنبينا . كذبتموني وصدقني  
الناس وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتهموني ونصرني الناس ،  
هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً .  
وتعود بالركب المنتصر إلى المدينة مع غنائمه وأسراهم من قريش .  
وتشاور القوم في أمر الأسرى فيقول أبو بكر الصديق :  
يا رسول الله : قومك وأهلك استبقهم لعن الله أن يتوب عليهم .  
ويقول عمر بن الخطاب :

يا رسول الله كذبوك وأخرجوك . قدمهم نضرب أعناقهم .  
فتقول هما : ( إن الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون  
أعين من الدين . وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد  
من الحجارة . وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال :  
« فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَحِيمٌ »<sup>(١)</sup> .  
ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال :

« إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ »<sup>(٢)</sup> . . .

( ١ ) من الآية ٣٦ من سورة إبراهيم .

( ٢ ) الآية ١١٨ من سورة المائدة .



ومثلك يا عمر مثل نوح قال :

« رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيْرًا <sup>(١)</sup> . »

ومثلك كمثل موسى قال :

« رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا  
حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ <sup>(٢)</sup> . »

وأنتم اليوم عائلة فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق ) .  
وينتهي الأمر إلى قبول الفداء ، فينزل الوحي الكريم يحسم هذا  
الحوار بمعجز بيانه :

( مَا كَانَ لِتَيْبِي \* أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتُخَجَّنَ فِي الْأَرْضِ  
تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ <sup>(٣)</sup> ) .

\* \* \*

وتمر الصور المشرقة في سيرتك العطرة يا رسول الله بعد وقعة بدر  
التي أبلى فيها المسلمون بلاء عظيما حتى قلت في موقف زلت فيه قدم  
أحدهم نحو خطأ جسيم :

( ١ ) من الآية ٢٦ من سورة نوح .

( ٢ ) من الآية ٨٨ من سورة يونس .

( ٣ ) الآية ٦٧ من سورة الأنفال .

( لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ) . . وقد كان لهذا النصر أثره في إرساء أسس العقيدة المدينة وما حولها وفي توطيد أركان الإسلام لينطلق من قاعدته الوطيدة إلى حيث يتبوأ مكانه العظيم .

ولكن قريشا لا تنسى هار هزيمة بدر ، فترجع إلى مكة تجر أذيال الخيبة وتمضغ الأحقاد بينما المسلمون يوطدون سلطانهم في المدينة وما حولها .

وتتلاحم الأحقاد والأهواء وتتشابك المطامع وتتصارع الآراء ويعلو الضجيج وتستقر الأمور على تعبئة الرجال والشباب والنساء في مكة وما حولها لإعادة الكرامة المهدورة ومحاوله جمع ما تبعثر منها على أرض بدر والثأر لهؤلاء الذين أطاح المسلمون برؤوسهم وألقوا بهم في القليب .

واستقر رأى هؤلاء الذين ملأ الغباء أدمغتهم فذهبوا ينطحون الصخر ، وعميت قلوبهم فلم تجد بصيصاً من ضوء أو شعاعاً من نور يهديها إلى طريق الخير على أن يجمعوا شتات نفوسهم الممزقة ويدفعوا بها في معركة حاسمة تقضي على المسلمين قضاء مبرماً ، وتعيد لقريش هيبتها ومكانتها بين العرب بعد هزيمة بدر \* .

فخرجت في ثلاثة آلاف من الرجال منهم مائتا فارس وتخرج لهم يا رسول الله في سبعمئة رجل من المسلمين ، وقد صحبت قريش معها

نساءها يضربن الدفوف وينشدن ما رأينه يزيل رهبة الرجال  
ويحضهم على القتال .

ويتلاقى الجمعان عند جبل أحد لتدور المعركة الضارية ، بين قوم  
تمتلىء قلوبهم بالإيمان وحب الاستشهاد وبين قوم تمتلىء أفئدتهم بالبغى  
والحقد والحسد .

لإنها معركة عقيدة وقيم ومبادئ .

وتصدر الأوامر يا رسول الله إلى الجيش لتكفل له النصر ، فتمدع  
عبد الله بن جبير رئيس الرماة ومعه منهم خمسون وتقول له : انضح  
عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت  
مكانك لا نؤتين من قبلك .

ويلتحم الجيشان ويكتب النصر للمسلمين في أول معركة ويولى خالد  
ابن الوليد وعكرمة بن أبي جهل بفرسانهما فرارا من وجه المسلمين  
وترفع نساء قريش عن سوقهن وينجلي الموقف عن انتصار رائع  
للمسلمين ، ولكن الرماة يستهويهم منظر اندحار المشركين وهلع  
نساءهم فجعلوا يقولون : الغنيمة . . الغنيمة . . فيقول لهم  
عبد الله بن جبير : مهلا ! أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله صلى  
الله عليه وسلم . فأبوا . فانطلقوا يجمعون الغنائم وقد سال لعابهم لها  
وداعبت خيالهم نزعات الضعف البشري فلم يستمعوا إلى نداء رئيسهم  
عبد الله بن جبير الذى صمد في مكانه حتى قتل .

وينظر خالد بن الوليد وهو على رأس فرسان قريش ويرى هذا  
المنظر فيدور عائدا إلى أرض المعركة وقد انكشف جيش المسلمين بعد  
نزول الزمالة من سفح الجبل إلى بطن الوادي فيحمل عليهم وما أن رأى  
المشركون ذلك حتى عادوا إلى أرض المعركة فشدوا على المسلمين  
وأخذوهم قتلا وضرباً .

وتنقلب كفة المعركة لصالح المشركين ويبلو الله المسلمين أعظم البلاء  
لخالفهم أمر رسول الله وأنشغاهم بجمع الغنائم وفرسان قريش لم  
يرحوا بعد أرض المعركة .

واكتسح الطوفان القرشي الحاقدا صفوة ممتازة من المهاجرين  
والأنصار حتى اختلط الأمر على كثير من المسلمين فكان الرجل منهم  
يضرب مسلماً مثله وهو لا يكاد يعرفه ويصبح ضائع أن محمداً قد قتل  
فتعظم البلية .

وكن لله جنوداً من صحابتك يا رسول الله وأسودا بين رجاك  
منهم حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وأبو دجانة قاتلوا قتال  
الأبطال وأبلوا بلاء عظيماً حتى انكشفت الغمة وانتشعت الظلمة التي  
أثارها النصر الزائف ، لقريش وعادلك صفاؤك فبعثت تسأل عن  
الشهداء وتلتمس أخبار عمك حمزة ، ويأتيك الخبر بمصرعه فتزل  
تلتمسه بين القتلى فترى أن قريشاً قد مثلت به مثلة بشعة مع الكثيرين من  
شهداء المسلمين .

ذلك أن هنداً بنت عتبة زوج أبي سفيان قد وعدت عبداً حبشياً هو وحشى بحريته إن هو قتل حمزة بخبرته غدرًا وغيلة انتقاماً منه حين قتل أباه وأخاه يوم بدر .

وشارك العبد الحبشى قريشاً فى قتالها يوم أحد ولا هم له إلا أن يبحث عن حمزة أسد الله وأسد رسول الله بين صفوف المسلمين ثم يقف ينتظر لحظة غدر يقذف فيها بخبرته يغتال بها سيد الشهداء ويشترى بها حريته .

ويعثر العبد الحبشى على حمزة رضى الله عنه يصول ويجول ويبلو أحسن البلاء ويرفع حربته ويقذفها لتصيب البطل أسفل بطنه وتنفذ من بين رجله ، ويتركه العبد حتى يموت . ثم يسرع إلى هند يخبرها الخبر فتهروا إلى الجسد المسجى على أرض المعركة يتزف أظهر دم ويجود بأطيب نفس فتبقر بطنه وتجذب كبده تلوكها بأسنانها ثم تجدع أنفه وأذنيه .

وإذا هذا المنظر يحزنك غاية الحزن . وإذا بك يا رسول الله تقول :  
 شن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم .

وإذا المسلمون يحزنون لحزنك ويغضبون لغضبك ويتألمون لمصرع حمزة وما أقدمت عليه قريش من المثلة بشهداء المساميين فيقولون :

والله لئن أظهرنا عليهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط .

إنه حمزة سيد الشهداء وأسد الله وأسد رسول الله ، كاشف الكربات ، إنه حبيبك الذي أسلم في لحظة دفاعا عنك يا رسول الله يوم سبك أبو جهل سبا مقدعا فعلم حمزة بذلك وهو عائد من صيده فتوجه إلى الكعبة ورفع قوسه وأهوى بها على رأس أبي جهل وسط جموع قريش ثم أعلن إسلامه .

قد كان سندنا لك في جميع مواقفك وصال وجال في بدر حين أطاح برووس أئمة الكفر ، ثم هاهو ذا في مصرعه يوم أحد يمثل أشد البلاء وأعنف الجهاد في سبيل الله .

وتتمثل لك هذه الصور الماضية لحمزة بن عبد المطلب وتطلق وعيدك هذا يا رسول الله ويتأسى بك المسلمون فيقسمون على المثلة والانتقام من قريش .

ولكن للسماء دروبها ومسالكها المستقيمة التي لا تعرف غير سمو الخلق وجمال العفو وحسن الصفح ، إنها دروب الصالحين ومسالك المتقين ومناهج النابيين .

وهنا يأتيك الوحي بعزاء ربك في عمك الحبيب ويعيد إليك وإلى أمتك صفاء النفس :

( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ \* وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ \* إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ )<sup>(١)</sup> .

فتعفو يا رسول الله وما أجمل عفوك وتصبر وما أجمل صبرك .  
ويقتدى المسلمون بك ويعودون إلى سابق صبرهم وحلمهم .

وتتقدم صفية بنت عبد المطلب شقيقة حمزة لترى سيد الشهداء ،  
فتبعث لها ابنها الزبير بن العوام ليرجعها ويتمنعها من أن ترى عنف  
مصرع حمزة فتقول : وهى فرع الشجرة الطيبة : قد بلغنى أنه مثل  
بأخى وذلك فى الله قليل فما أَرْضَانَا بما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن  
إن شاء الله .

رحم الله هؤلاء الأفاضل الأبطال .

حمزة عم النبي أسد الله وأسد رسوله وبطل بلدر وشهيد أحد ،  
كاشف الكربات وسط غمرات الحرب يستشهد هذا الاستشهاد العنيف  
فى سبيل الله ثم تمثل به هند بنت عتبة أشنع مثله . ورغم كل هذا فإن  
شقيقته تقول : إن هذا فى الله لقليل .

---

( ١ ) الآيات ١٢٦ - ١٢٨ من سورة النحل .

إنهم نواة أمتك يا رسول الله ، هؤلاء الأفاضل الذين أقاموا أركان العقيدة على أساس متين من التضحية والفداء والجهاد والبلاء دون ما ينظر إلى شيء إلا إرضاء الله ورسوله .

إنه جهاد مجرد من كل أهواء الدنيا ومطامعها ومغانمها :  
 أية نفوس عالية تلك التي ملأها الإيمان بالنور الذي يخطف الأبصار .  
 رحم الله حمزة ، ورحم الله صفية ، أبطال هذا المشهد الفريد والبلاء العظيم .

واستشهد حمزة مشهد فريد وسيظل كذلك حتى آخر الدهر .  
 وموقف صفية بنت عبد المطلب مرقف فريد وسيظل كذلك إلى آخر الدنيا .

وأمام هذه الصور الجميلة المشرقة لجهادك وبلاء صحابتك نرى صورة لا تقل إشراقاً عن هذه الصورة وهي صورة عفوك الكريم يا رسول الله يوم فتح مكة . . هذا العفو الذي شمل حتى هند بنت عتبة آكلة الأكباد ، ووحشى العبد الحبشى .

. . . فيها هي ذى الأيام تمر وتقبل جيوش المسلمين لتهدم معقل الوثنية في مكة عام الفتح ، ويتقدم هذا العبد الحبشى الذي عاش بعد مصرع حمزة أشبه بالخجّون يهذى في الطرقات وقد أدرك أنه ارتكب جريمة العمر وعار الزمن ويتقدم إليك يا رسول الله وأنت تجلس بين أصحابك وينطق بالشهادتين ليحقق دمه ، وتنظر إليه وتعرف أنه قاتل عمك ولكن الله عصم دمه بالإسلام .



— ١١١ —

وبعاودك الحنين يا رسول الله وقد عادت إليك ذكرى عمك أخيب  
المسجى على أرض أحد وقد مثلت به هند فبذكرك الذكرى وأنت نستمع  
من العبد الخبيث إلى تفاصيل القصة .

وقد عفوت وصبرت يا رسول الله .

ونفسك الصافية الشفافة وكرمك وعفوك أسمى من أن تحمل حقدا  
بعد مقتل عمك ولكنك تلتفت إلى العبد الخبيث وتقول له :

( غيب وجهك عني ) .

وعلى قدر ما جاهد هذا العبد الخبيث في حروب الردة ثم في فتوح  
الشام فإن ذكرى مصرع حمزة ظلت تطارد خياله ويكاد ينخلع قلبه  
لما .

رحم الله سيد الشهداء وشهيد أحد .

وعزاء لك يا رسول الله في عمك :

وكفيلك يا رسول الله رضا ربك عليك وأنت تقف يوم فتح  
مكة وزمام الأمر كله في يدك ورقاب قریش كلها تحت سيوف رجالك  
المؤمنين ولكنك تطلق حكمك الحميل في أهل مكة الذين آذوك  
وأخذ جوك وحاربوك .. هؤلاء الذين عطلوا سير العقيدة في مكة  
وما حولها عشرين عاما وناصبوك العداء ، ولكنهم يعلمون كرمك  
وفاءك وأمانتك وصدقك فيجيبون على تساؤلك عما أنت فاعل بهم  
فيقولون : أخ كريم وابن أخ كريم :

— ١١٢ —

فليكن حكمك هذا الذى حفظه التاريخ وسيظل يحفظه مثالا للوفاء  
والصبر والإخلاص :

( اذهبوا فأنتم الطلقاء ) :

عفو في موقف مقدرة :

وعطف من كانت حياته كلها عطفاً .

وكرم وسع كل من بلغه :

ما أكرمك وما أجمل صبرك يا رسول الله :

وما أحلمك وما أقدرك على العفو :

وما أوسع رحابك الطاهرة يا رسول الله لكل من أراد لنفسه ملاذاً

· قبيظ الحياة وهجير الوجود .

---

## درس الفداء

قال تعالى :

( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ )<sup>(١)</sup>

الجهاد واجب فرضه الله على المنضوين تحت لواء دعوتك يا رسول الله والفدائية درس تعلمه المسلمون في رحابك الطاهرة .

وامتزع الجهاد بالفداء في بوتقة الإيمان ، فرأينا الصفوف تزخر بقلوب الأسود ونفوس الشجعان ، رهبان الليل وفرسان النهار ، فكانت الدروس المضيئة والمعالم الشامخة في سيرة أصحابك هؤلاء الذين وهبوا الحياة لنصرة العقيدة دون نظر إلى مكافأة أو جزاء .

هؤلاء صفوة أمتك ونتاج تربيتك ، السائرون على درب هداك ومنهج رضاك ، تكفيهم دعوة منك ، أو ابتسامة من شفئك ، أو لمسة لحسدك الطاهر كما فعل سواد بن غزية يوم بدر حين وقفت تعدل الصفوف وفي يدك سهم تضرب به بطن سواد فيقول لت : يا رسول الله أوجعني فأقنني ( أي اقتبس لي من نفسك ) فتكشف بطنك

( ١ ) الآية ١٤٢ من سورة آل عمران ..

فبئحني سواد عليها ويقبلها وحينما تسأله عن سبب ذلك يقول لك مايعبر  
عن أعظم الحب والشغف بك :

يا رسول الله حضر ما نرى فلم آمن من القتل فأردت أن يكون آخر  
العهد بك أن يمس جلدي جللك .

هؤلاء الرجال أحبك يا رسول الله وأفنوا العمر كله في محبتك وطلب  
رضاك ، فقاموا بالجهاد والفداء محبة في الله ورسوله وطلباً لعفوه ورضاه  
وفناء في تأدية الأمانة التي أشفقت الجبال من حملها .

هؤلاء الرجال جعلوا الجهاد عبادة والفداء فريضة :

إنهم طلائع أمتك يا رسول الله وطلاب منهجك .

ودرس الفداء الذي سنتعلمه منهم الآن مثال نادر من الأمثلة الرائعة  
لا نكاد نرى له مثيلاً في كتب التاريخ الإنساني رغم ما زخرت به من  
سير الأبطال والشجعان •

كان ذلك بعد غزوة أحد ، وقد أراد الله جل شأنه أن تشق الدعوة  
طريقها وسط شعاب الوثنية التي تدمى ضمائر الموحدين ، وقد بدت  
الدعوة كنسألم رطبة في هجير يلفح قلوب المؤمنين ، بدأت الوفود  
بعد غزوة أحد تغد على المدينة من القبائل العربية التي تنتشر في بوادي  
الحجاز يحدوها الأمل في المشاركة في هذا البناء الشامخ الذي وضعت  
أساسه المتين بمنهجك السماوي الذي جاء به القرآن الكريم .

ولكن بعض هذه الوفود كان يداعبها الخيال ويدفعها الطمع إلى استغلال الصراع القائم بين وحدانية المدينة وبين وثنية قريش في مكة ومن هذه الوفود وفد (عضل والقارة) وهم من الهون بن خزيمة ابن مدركة الذين قالوا لك يا رسول الله :

إن فينا إسلاما وخيرا . فابعث معنا نفرا من أصحابك يفتهمونا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام

فتبع معهم نفرا ستة من أصحابك هم : مرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت وخبيب بن عدى وزيد ابن الدثنة وعبد الله بن طارق .

وكان أمير هذه السرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي .

وسرى مع هؤلاء الستة الأفذاذ كيف تكون الفداية وكيف يكون الثبات على المبدأ في أحلك المواقف وأقسى الظروف ، وكيف يصبح الجهاد وسيلة العبد إلى ربه .

وسرى كيف ترعى السماء جنودها وكيف تسهر عليهم حتى وهم أحياء عند ربهم يرزقون .

إنهم نواة أمتك المجاهدة يا رسول الله وبعض نتاج دعوتك الذين أقاموا أركان العقيدة على أساس متين من التضحية والفداء والجهاد والبلاء دون ما نظر إلى شيء إلا إرضاء الله ورسوله .

منرى لمحّة من خاتمة جهادهم الذى بدأوه يوم بدر ، هذا الجهاد  
المجرد من كل أهواء الدنيا ومطامعها ومغانمها ، والذى تعلموه فى  
مدرستك يا رسول الله .

وما كان موقفهم هنا إلا ومضة من نور عظمتك ، هذه العظمة التى  
تعرف أقدار الرجال وتعلم أن نفحات السماء لا تترك جنودها الأبرار  
دون رعاية ولا تدع لأمشركين حرية التخطيط والمكر والتدبير ، وإنما  
تنصر عبادها المؤمنين وإن جندها لهم الغالبون .

انطلق هؤلاء الستة مع الركب العائد حيث يؤدون المهمة التى كلفتهم  
بها يا رسول الله ، ولكن الركب ما إن يصل إلى مكان يسمى الرجيع  
حتى يغدر القوم بهؤلاء النفر من الصحابة ويحيطون بهم من كل جانب  
وقد شرعوا أسلحتهم فيأخذ الصحابة أسيافهم يقاتلون بها القوم الذين  
يقولون لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ولكننا نريد أن نكسب خيبراً من  
وراء تسليمكم لأهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .

ويدرك هؤلاء النفر الطاهر من الصحابة أن الغدر لا موافق له  
ولا عهد معه . وأنى لهؤلاء أن يعرفوا عهد الله وميثاقه ؟

وهنا يواجههم عاصم بن ثابت أحد هؤلاء الستة الأفذاذ قائلاً :  
والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً .

وقاتلوا القوم حتى قتل عاصم بن ثابت ومرثد بن أبى مرثد وخالد  
ابن البكير .. ولم يبق من هذه السرية الفدائية إلا ثلاثة هم : خبيب

ابن عدى ورید بن الدثنة وعبد الله بن طارق غلبوا على أمرهم فأسرهم القوم وأوثقوهم واتجهوا بالركب إلى مكة يدفعهم الأمل في جزيل العطاء من مشركى قريش بعد أن يساموهم على هؤلاء الأسرى الكرام من أصحابك يا رسول الله .

ولكن عبد الله بن طارق أحد الثلاثة يتزع يده من رباطه ويقول :  
والله لا أصحابكم ، إن لى بهؤلاء أسوة ( يعنى أصحابه الذين  
قتلوا يومئذ ) .

ثم أخذ سيفه وقاتل القوم حتى تجمعوا عليه فقتلوه رميا بالحجارة .  
وقبل أن نعرض مشهد هذا الركب فى مكة نعرض مشهداً فريداً  
لهذا الفدائى الجليل عاصم بن ثابت الأنصارى : الذى شهد بدرًا وأحدًا ،  
وثبت يومها مع من ثبت معك يا رسول الله من المؤمنين .

وكان عاصم بن ثابت قد قتل يوم أحد مسافعاً والجلال ابنى طلحة  
ابن أبى طلحة وأمهما سلافة بنت سعد فنذرت أمهما أن تشرب الخمر  
فى قحف رأس عاصم وجعلت لمن يأتى برأسه مائة ناقة .

وها هوذا عاصم بن ثابت يقتل يوم الرجيع وقد أبى أن يساوم القوم  
أو يهادنهم بل أبى أن يكون بينه وبين أحد من المشركين عهد أو ميثاق .  
ولكنه كان قد نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً فى حياته :  
ولهذا قاتل القوم حتى فנית نبله ثم طاعنهم حتى انكسر رمح وبقي  
السيف فأمسكه وقال :

اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحم لحمي آخره :  
ثم قاتل القوم حتى جرح منهم رجلين وقتل واحدا ، فشرعوا فيه  
الأسنة حتى قتلوه .

وأرادوا أن يَحْتَرُوا رأسه ليبيعوها إلى سلافة بنت سعد لتفني بنذرهما  
المُشْتوم وتشرب فيه الخمر .

ولكن للسماء دروبها ومسالكها التي لا يعلمها إلا من جاهد النفس  
على السير فيها ليصل إلى ثمار عمله وكان عاصم من هؤلاء الأفذاذ الذين  
يعلمون الحق ولا يسامون عليه وقد جاهد يوم بدر وثبت يوم أحد  
ووقف شامخاً يوم الرجيع حتى قتل وهو يدعو ربه أن يحمي جسده  
من أذى المشركين وينفي بنذره وينقذ رأسه الطاهر من أن تشرب الخمر  
في قحفة سلافة بنت سعد .

وتستجيب السماء لدعاء عاصم فيبعث الله أسراباً من النحل تحمي  
جسده طول النهار وتمنع القوم من الاقتراب منه حتى قالوا : دعوه  
يمسي فيذهب عنه فنأخذة ، ولكن ما إن يأتي الليل حتى يبعث الله  
سيلا في الوادي فيحتمل جسد عاصم ويذهب به بعيداً عن أيدي القوم  
فلا يصلوا إليه .

وبر عاصم بقسمه وهو شهيد فيحمي جسده وينفي له بنذره فلا  
يمسه مشرك :



ثم ينطلق الركب العادر إلى مكة ومعه خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة الذى ابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف .

ودفع القوم بخبيب إلى بنى الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وكان خبيب هو الذى قتل الحارث يوم أحد .

وكما رأينا هذا المشهد الفريد لعاصم بن ثابت وإخوانه الذى شهدته مياه الرجيع نعرض هذا المشهد الفريد لباقي السرية الفدائية خبيب وصاحبه زيد .

فها هو صفوان بن أمية يبعث يزيد بن الدثنة ليقتله فتجتمع قريش تشهد هذا المشهد ، لعلها تجد فيه شيئاً تنفس به عن مكنون حقدتها وكان بين القوم أبو سفيان الذى قال لزيد وهو يقدم نقتل :

أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه وأنت فى أهلك ؟

فيقول زيد : والله ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصبيه شوكة تؤذيه وأنى جالس فى أهلى .

فيقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً .

وقتل زيد بن الدثنة والقوم حوله يعجبون من ثباته وصلابة إيمانه .

ويبقى خبيب بن عدى فى محبسه ينتظر مصيره اختوم وسط أنواء الكراهية والحقء التى تعصف بالقلوب وتخلع الأبالب ولكن للمؤمنين قلوباً راسخة كالجبال ، ونفوساً شائخة كالقمم ، لا تعرف الخوف ولا يعبث بها الخلع ولا تهزها أعاصير الحقء .

وينظر القوم يوماً إلى خبيب فى محبسه فيدهشون إذ يجدون بين يديه قطناً من عنب يأكله وليس فى مكة كلها من ثمرة .  
فما كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا .

ويخرج القوم يوماً بخبيب ليصلبوه على صليب ربما لم تصنع العرب صليباً قبله تقتل عليه إنسانا ، ولكن خبيب كان كالغريق فى بحار تموج بالكراهية وتعج بأنواء الحقء ، فصنعوا الصليب ليكون عذابه مضاعفاً ، ولكنه يقول لهم :

إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما .

ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة .

فكان خبيب بن عدى أوب من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين :

وتجمع القوم يشهدون مثل خبيب وتقدم بعضهم يرفعونه على خشبة الصليب فلما أوثقوه قال :

اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ثم قال :  
اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا .  
وتردد جبال مكة أصداء دعوته ويتقدم أحد بني الحارث بن عامر  
فيقتله بحربته فوق الصليب .

ويظل خبيب مكانه على الصليب صابرا محتسبا حتى أخبرك الوحي  
يارسول الله بمصير هذه السرية الفدائية فتبع عمرو بن أمية ليوارى  
جثمان خبيب وينزله من على الصليب .

ويروى عمرو بن أمية ما حدث فيقول :

جئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون فرقيت فيها فحلت خبيبا :  
فوقع إلى الأرض فتفتحيت غير بعيد ثم التفت فلم أر لخبيب جثة فكأنما  
ابتلعت فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة .

وستمر الأيام والسنون وسيقول معاوية بن أبي سفيان بعد أن أصبح  
خليفة المسلمين وكان قد شهد مقتل خبيب مع أبيه أبي سفيان :

حضرت هذا المشهد يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيت  
يلقيني إلى الأرض خوفا وفرقا من دعوة خبيب وهو على الصليب .

وكان القوم يعتقدون أن الرجل إذا دعى عليه فاضطجع على جنبه  
لم تؤثر فيه الدعوة .

ويقول سعيد بن عامر الحمصي الذي استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بعض الشام أيام خلافته وقد كانت تصيبه غشية وهو بين القوم وذلك حينما سأله أمير المؤمنين عمر عن ذلك :

والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ولكني كنت فيمن حضر خبيبا ابن عدي حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي وأنا جالس في مجلس قط إلا غشي على .

وهذا تنبى مشاهد هذه السرية الرائدة في مجال الفداء وقد رأينا كيف كان الجهاد وسيلة العبد إلى ربه .

لله در هؤلاء الرجال .

لشد ما أحبوا الله ورسوله .

ولشد ما تحملوا في سبيل الجهاد ألوانا من العنت وصنوبا من العذاب .

ولكنها القيم والمبادئ التي لا تبقى ولا تذكر إلا بفضل أمثال هؤلاء الأفاضل الذين يضعون لنا المعالم وسط هجير الوجود . وينثرون الدروب بومضة من عظمة محمد رسول الله التي أشرقت عليهم . فكان لنا هذا الدرس الجميل وتلك اللاوحة الخالدة للجهاد والفداء .

رحم الله هؤلاء الشهداء الأبرار .

وطوبى لمن سار على دربهم .

— ١٢٣ —

ونهب نهبهم ونسج على منوافهم .  
وطوبى لنا لأننا أحبيناك ولم نرك يا رسول الله .  
يا إمام الجهاد . . ومعلم النداء .  
وصدق الله العظيم حين قال :  
( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا  
مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ) .

\* \* \*

## درس الشهادة

قال تعالى :

( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَا۟هُمْ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ )<sup>(١)</sup> .

وهل تحتاج الشهادة إلى درس يتلقاه المسلمون .  
نعم ، ما دمنا في رحابك نطوف ، وعلى نهجك نسير ، وعلى دربك  
نخطو .

وليس أبلغ درسا من درس الشهادة في رحاب سيرتك الطاهرة  
يا رسول الله ، فكأنك كنت تستلهم السماء أمر هؤلاء الشهداء الأبرار  
فأقمت كل أمير مكانه بترتيب لا يختل حتى حينما اعترض جعفر بن  
أبي طالب على ذلك لم ترض عن اعتراضه .

ومالنا نسمح للأسماء تطفو على سطح حديثنا من الآن وتزاحم  
الحوادث في هذه اللوحة الرائعة من لوحات سيرتك العطرة يا رسول  
الله ؟

لعله الحرص يدفعها إلى بيسان عظمة هؤلاء الشهداء أصحاب مؤتة !!

---

( ١ ) الآية ١٦٩ من سورة آل عمران .

أم لعله الواجب لبيان هذا الدرس من فم التاريخ صانع الأبطال !  
على أى وجه من الوجوه جاءت غزوة مؤتة بعد كفاح طويل  
وجهاد متصل مستمر بدأه المسلمون منذ درس الهجرة الأول .

ترك المسلمون الأهل والعشيرة والمسال والنولد وهاجروا إلى المدينة  
ينشرون راية الإسلام ويعملون على إنارة دنياهم بنفحات من هدى  
الساء بعد أن أطبقت ظلمات الوثنية على أنفاسهم فى هجير مكة اللافح .  
وآخيت يا سيدى يا رسول الله بين المهاجرين والأنصار أصحاب  
يثرب هذا التآخى الذى لم نشهد له مثيلا فى تاريخ الرسالات ومراحل  
تطور العقائد كلها .

هذا التآخى الصافى من كل شوائب الأنانية والأثرة . والذى دفع  
برجل مثل سعد بن الربيع أن يعرض نصف ماله وإحدى زوجتيه  
يطلقها لزميله فى هذه المؤاخاة عبد الرحمن بن عوف مهاجر مكة الذى  
يقول له بأعف لسان وأجمل روح : بارك الله لك فى مالك وزوجك  
ولكن إذا أصبحت فدلنى على سوقكم ، ويخرج يتاجر ويربح .

وجاءت غزوة بدر لنشهد الطوفان الوثنى يقوده الموتورون من  
رجال قريش يراودهم الأمل ويداعبهم الخيال فى اكتساح نواة أمتك  
وأصل الشجرة المباركة التى ستوثق ثمارها كل حين باذن ربها .

ثلاثمائة رجل هم الصفوة الممتازة المجاهدة الصامدة أمام طوفان  
الشرك والوثنية تحاول أن تروض مسره وتغير مفاهيمه لخر الدعوة  
دون طائل ودون فائدة .

هؤلاء الأبرار وقفوا يوم بدر يقولون لك يا رسول الله : امض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر نخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد .

وتم النصر للمؤمنين وعادت قريش تلعق جراحها وتجرح أذيال هزيمتها ، فكانت غزوة بدر بذلك نقطة التحول والانطلاق ، وقاعدة متينة راسخة في كيان الدعوة المحمدية التي بدأها معك جبريل الأمين يوم دلف من السماء يقول لك :

يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل .

ثم كانت غزوة أحد ميدانا آخر لاختبار إيمان المؤمنين ، وكتب الله النصر في أولها للمسلمين إلا أن الرماة خالفوا أمر قائدهم عبد الله ابن جبريل الذي أمرهم بأمرك يا رسول الله أن ينضحوا الخيل عن مؤخرة المسلمين .

ولكن الرماة يسيل لعابهم لمنظر الغنيمة وفرار المشركين ومن خلفهم نساء مكة وقد رفعن عن سوقهن .

هناك ينزلون إلى ساحة المعركة يشاركون في جمع الغنائم فلم تفت حركتهم هذه عقري الحرب خالد بن الوليد وكان ما زال في معسكر قريش فلولى عنق جواده وعاد بفرسانه يباغت جيش المسلمين من المؤخرة . وكان البلاء الذي شهده المسلمون في أحد وكانت الحنة قاسية حقا .



ولكنها الأيام يداؤها الله بين الناس .

ثم تعاود قريش الكرة مرة أخرى حين تعقد العزم على مهاجمة مهد الدعوة وقاعدتها الأولى في المدينة .

جاءت إلى مدينتك يا رسول الله بعد أن دبرت مؤامرتها مع يهود يثرب .

وتم الالتقاء بين وثنية قريش وشيطانية اليهود على هدم الدعوة وإخمادها وخنق أنفاسها في المدينة ، حتى بلغ الأمر باليهود أن قالوا لكفار مكة : دينكم خير من دينه .

وانتهجت جحافل الأحزاب تضيق الخناق على المدينة وبدخلها اليهود يخلخلون كيائها وتماسكها ، ولكن البنيان الذي شيدته يا رسول الله بإيمانك وصلابة أصحابك كان أقوى من كل ما يدبرون فصمد المسلمون ، وابتدأوا يحفرون الخندق حول المدينة .

وعملت فيه بنفسك يا رسول الله ترغيباً للمسلمين وتشجيعاً لهم حتى كان الرجل منهم يستأذنك إذا حان وقت حاجته أو عرض له أمر هام من أمور حياته ثم يعود مرة ثانية يعاود العمل في الخندق رغبة في الخير وطاعة لله ورسوله .

فأنزل جل شأنه في هؤلاء المؤمنين :

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ  
عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ  
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ  
شَأْنِهِمْ فَاذْنِ لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ  
رَّحِيمٌ <sup>(١)</sup>

ولكن مجتمع المدينة كان يعج بالكثير من المنافقين الذين كانوا  
بتظاهرون بالعمل ثم يتسللون ويذهبون بغير استئذانك يا رسول الله  
فإنزل القرآن يكشف أمرهم :

( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا  
قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُم لِوَٱذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ  
عَن أَمْرِهٖ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) <sup>(٢)</sup> .

وأثناء عملية الحفر تشدد على المسلمين في بعض الخندق صخرة عظيمة  
وتشاهدهم مع سلمان الفارسي وهم يعالجونها فتزل يا رسول الله وتأخذ  
المعول وتضربها ضربة فتلمع تحت المعول برقة ثم تضرب الثانية فتلمع  
برقة ثانية ثم تضرب الثالثة فتلمع برقة ثالثة .

( ١ ) الآية ٦٢ من سورة النور .

( ٢ ) الآية ٦٣ من سورة النور .

ويسألك سلمان الفارسي :

بأني أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول  
وأنت تضرب ؟

فتقول له : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟

فيقول سلمان : نعم . .

فتقول له :

أما الأولى فلإن الله فتح على بها اليمن .

وأما الثانية فلإن الله فتح على بها الشام والمغرب .

وأما الثالثة فلإن الله فتح على بها المشرق .

وستمر الأيام والسنون وتفتح هذه الأمصار ويقول أبو هريرة

يوما :

والذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحت من مدينة ولا تفتتحنها .

إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه

وسلم مفاتيحها قبل ذلك :

ثم جاء بعد ذلك إجلاء بني قريظة وبني المصطلق وما كانا يمثلانه

من جيوب المقاومة وشوكة الخطر في جنب الدعوة .

ثم يأتي صلح الحديبية وعمره القضاء وما تمثل في ذلك كله من تقدم

واضح عميق في خط سير الدعوة وخطوات ملموسة نحو بلوغ غايتها

— ١٣٠ —

وما كان بينهما من فتح خير سنة سبع للهجرة وقد فتحها الله عليك حصنا حصنا .

وها أنت ذا تعطى اللواء يوما لأبي بكر ويوما لعمر ثم تقول يوما :  
أما والله لأعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله .  
ثم تدفعها إلى علي بن أبي طالب الذي فتح الله عليه يومها .

وترجع يومها يا رسول الله وفي ركابك صفية بنت حيي التي  
كانت قد رأت في منامها وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي  
الحقيق اليهودي أن قمرًا وقع في حجرها .

وقد عرضت رؤياها على زوجها الذي قال لها :  
ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمدا ، ولطم وجهها لطمة  
شديدة اخضرت عيناها منها فأقى بها إليك وبها أثر منها .  
وكانما كان زوجها يستقرئ الغيب ، فها هي تعرس لك  
يا رسول الله وينتظمها هذا العقد المختار للنسائك الطاهرات .  
وتوالى دخول المسلمين إلى رحاب العقيدة الجديدة ومنهم رجالات  
قريش .

فها هو خالد بن الوليد يقابل عمرو بن العاص في الطريق إلى المدينة  
فيقول عمرو :

إلى أين يا أبا سليمان ؟

— ١٣١ —

فيقول خالد :

والله لقد استقام المنسم وإن الرجل نبي . أذهب والله فأسلم فحني متى ؟

فيقول عمرو :

والله ما جئت إلا لأسلم .

وهكذا كسب الإسلام قائدا مغوارا سيكون له شأن أى شأن فى حديثنا عن موثة ثم فى حديث الإسلام كله بعد ذلك يوم يأتى الأوان ، وسياسيا داهية سيشارك فى الحرب والسياسة بنفس الحماس الذى شارك به قبل إسلامه .

ويتجه نظرك بعد ذلك يا رسول الله إلى الشام بعد تأمين المدينة وما حولها وبعد مهادنة قريش وعمره القضاء . وكأنك كنت تعلم بثاقب فكرك أن هذه هى الطريق الطبيعية لنشر الدعوة ، وقد أردت أن تتبع سياسة إيجابية الدفاع بارهاب أعراب شمال الحجاز وجنوب الشام وعليهم عمال هرقل وقد سبق لهؤلاء أن غدروا ببعض أصحابك وقتلوا رسلك .

وكأنما كنت تفتتح بهذه الغزوة عصر الفتوحات كما كان صلح الحديبية تمهيدا لفتح مكة وما تلا ذلك من انتشار الدعوة وتمكين الدين فى الجزيرة العربية كلها .

' توجه المسلمون في ثلاثة آلاف ليواجهوا حشودا من الرومان والأعراب تصل إلى مائة ألف ، وقد أمرت عليهم زيد بن حارثة إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة .

ولنا وقفة هنا نرى فيها ملامح هؤلاء القادة الذين وقع عليهم عبء المجاهدة الأولى لجيوش الرومان أولهم زيد بن حارثة هذا الذي اختطفه الأعراب يوما من أمه وباعوه في سوق عكاظ حيث اشتراه حكيم ابن حزام الذي أهده بدوره إلى عمته خديجة التي وهبته لك يا رسول الله فتعتقه وتمتعه الحب والعطف والرعاية .

ويعلم أبوه بمكانه في بيتك فيأتى إلى مكة ويحاول المساومة ولكنك تقول له : ادعوا زيدا وخبره فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء .

وهنا يحسم زيد الموقف حين يقف أمام الجميع ويقول في وجه أبيه :

ما أنا بالذي أختار عليك أحدا أنت الأب والعم .

وهنا يخرج يا رسول الله إلى فناء الكعبة حيث تنادي :

اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه .

وأصبح منذ ذلك اليوم يدعى زيدا بن محمد .

وقد تربى في منزل الوحي بين الوفية المخلصة خليعة بنت خويلد  
وبين رعايتك وحبك وعطفك عليه فشب في واحة الإيمان لتعى  
ذاكرته كل معاني الإيمان والجهاد والفداء .

وتزوجه بنت عمك زينب بنت جحش إمضاء لقاعدة المساواة  
وشريعة العدل التي جاء الإسلام يرسى قواعدها .

وقد تدرب زيد على أسلوب الجهاد فلم تكن تبعته في سرية إلا  
كان أميرها وقائدها حتى كانت غزوة مؤتة فقدمته على صاحبيه .  
أما جعفر بن أبي طالب .

فهو ابن عمك يا رسول الله .

كان من الرعيل الأول الذي استجاب لدعوة الحق ونداء الإسلام .  
خرج مهاجراً إلى الحبشة فكان الناطق الفطن للجماعة المسلمين المهاجرة  
إلى أرض النجاشي ، وقد وقف يوماً شامخاً في بلاط النجاشي يرد  
على عبد الله بن ربيعة وعمرو بن العاص وقد بعثهما قريش إلى هناك  
ضمن مخططها الحاقدا لإخراج هذه الجماعة المؤمنة من الحبشة لعلها  
تستطيع أن تطفى جذوة تحقدها بالتنكيل بهم حينما يعودون بهم إلى  
بطحاء مكة :

ويتصدى جعفر للرد على أباطيل وفد قريش أمام النجاشي الذي  
ما إن يستمع إلى المحاوراة حتى يقول لعمر بن العاص وصاحبه :  
انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما .

ويبقى جعفر مع جماعته المؤمنة الصادقة المهاجرة في الحبشة حيث يعود منها بعد فتح خيبر .

وقد انتظر أن تواتبه فرصة عمره ليشترك في الجهاد الذي فاتته في بدر وأحد وغيرهما من مشاهد الجهاد والفداء .  
حتى كانت غزوة مؤتة .

أما عبد الله بن رواحة فقد كان أحد النقباء الإثني عشر من الأنصار الذين بايعوا بيعة العقبة الأولى وحملوا بذرة الإسلام إلى المدينة .  
ثم كان أحد المبايعين بيعة العقبة الثانية .

وهو أحد البدرين وكان ضمن من خاضوا غمار أحد والحنديق والحديبية وخبير .

وكانت له مكانته الخاصة في مدرسة صحابتك الأولى .  
فحينما نزلت الآية :

( وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ) . . . (١) .

تلوتها يا رسول الله وأشرت إلى عبد الله بن رواحة وقلت :



— ١٣٥ —

لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل .

هؤلاء هم قادة جيش مائة الذين خرج الناس يودعونهم حتى بكى  
عبد الله بن رواحة فقالوا له :

ما يبكيك يا بن رواحة ؟

فقال :

أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباية بكم ولكني سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار :

( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا )<sup>(١)</sup> .

فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود .

فقال المسلمون :

صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إينا صالحين ؟

وتودع القادة والجيش كله ويمضي الناس إلى أرض البلقاء حيث  
يعلمون كثافة الحشود التي جمعها الروم أمامهم حتى بلغت مائة ألف  
أو تزيد :

وتشاور القوم فيما بينهم حتى أشار بعضهم بالانتظار وطلب المدد  
منك يا رسول الله .

---

( ١ ) الآية ٧١ من سورة مريم .

— ١٣٦ —

وهنا ينهض عبد الله بن رواحة فيقول للقوم :

يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما  
نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، مانقاتلهم إلا بهذا الدين الذي  
أكرمنا الله به فانطلقوا فلنما هي إحدى الحسينين إما ظهور وإما  
شهادة .

فقال الناس :

قد والله صدق ابن رواحة .

ومضى الناس حتى انحازوا إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الجمعان  
عندها وتعب المسلمون وتقاتل القوم قتالا شديدا ، فقاتل زيد بن حارثة  
برايته يا رسول الله حتى قتل فأخذها جعفر بن أبي طالب ابن عمك  
وكبير مهاجري الحبشة فقاتل بالراية حتى إذا حوصر اقتحم عن فرس  
له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل ، فأخذ الراية عبد الله بن  
رواحه الذي لحق بصاحبيه في ميدان الشهادة .

وهنا يصطليح المسلمون على خالد بن الوليد الذي أخذ الراية ودافع  
القوم حتى استطاع بعقريته العسكرية الفطرية التي بدأت تشرق أن  
ينحاز بالقوم ويخلص البقية الباقية من المسلمين من براثن الحشود  
الرومانية ويعود بهم إلى المدينة .

في هذا اليوم تصعد المنبر يا رسول الله وتأمر فينادى : الصلاة  
جامعة .

ويجتمع الناس إليك فتقول :

باب خير ، باب خير ، باب خير ، أخبركم عن جيشكم هذا  
الغازي ، إنهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا ثم أخذ اللواء جعفر  
فشده على القوم حتى قتل شهيدا ثم أخذ اللواء عبد الله بن راحة فأثبت  
قدميه حتى قتل شهيدا ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من  
الأمراء هو أمر نفسه :

اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره .

ومنذ ذلك اليوم سمي خالد بن الوليد سيف الله .

وعاد خالد بالقوم من مؤتة فتلقاهم يارسول الله ومعك المسلمون  
في المدينة يواسون جراحهم ، غير أن بعض الناس يحشون على الجيش  
التراب ويقولون :

يافرار من سبيل الله .

وتقول يارسول الله وأنت العالم بأقدار الرجال وصانع الأبطال  
ومربي القادة والشجعان وكأنك تمسح بيدك الكريمتين أشجان هؤلاء  
العائدين .

ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله :

لشد ما كان مصاب المسلمين عظيما في أبطال مؤتة ولشد ما حزنت  
يا سيدي يا رسول الله وأنت تنعى هؤلاء الأمراء الأبطال قادة جيش  
مؤتة وقد أطرقت لحظات ترى فيها مصارع الأبطال وتقول :

لقد رفعوا إلى الجنة :

ثم ترى ابنة زيد تبكي أباه فتبكي لبكائها حتى تنتحب :

ويسألونك عن هذا فتقول :

هذا شوق الحبيب إلى حبيبه .

فليكن هذا التوافق الغريب بين ترتيب استشهاد هؤلاء الأبطال وبين ترتيب قيادتهم للجيش شيئاً ربما لم نر له مثيلاً في غزواتك كلها بل ستظل موضة فريدة بأبطالها وبأسلوب استشهاد قادتها .

وسيلظل هذا الطراز من الرجال معلماً لأجيال المسلمين إذا ما أرادوا أن يتعلموا درس الشهادة بعد درس الجهاد ودرس الفداء .

وسيكون للشهيد تلك المكانة الممتازة في مجال الحساب .

فحينما أصيب عمك حمزة ومصعب بن عمير رأوا مارزقوا من الخير فقالوا : ليت إخواننا يعلمون ما أصابنا من الخير كي يزدادوا في الجهاد رغبة فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم وأنزل عليك :

( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِآلِذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) (١) .

---

( ١ ) الآيات ١٦٩ ، ١٧٠ من سورة آل عمران .

— ١٣٩ —

وقد احتلت أرواحهم مكانها السامى فى عالم الخلود عند بارئها فهى  
جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى إلى  
قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش العظيم تركع وتسجد لله حتى  
يوم القيامة .

أما أجسادهم فلها نفس الكرامة فلا تبلى فى القبر ولا تأكلها الأرض  
شأنها شأن أجساد الأنبياء ، تلك منة من رب العالمين يمن بها على عباده  
المتقين الذى بذلوا الأرواح الغالية فى سبيل الله .

وها أنت يا رسول الله تقابل جابر بن عبد الله يوما فتقول له .

يا جابر مالى أراك منكسا مهتما ؟

فيقول لك :

يا رسول الله استشهد أبى وترك عيالا وعليه دين .

فتقول له :

ألا أبشرك بما لى الله عز وجل به أباك ؟

فيقول جابر :

بلى يا رسول الله .

فتقول له :

إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا — أى مواجهة — وما كلم أحدا  
قط إلا من وراء حجاب ، فقال له يا عبدى تمن أعطك ، قال يارب

-- ١٤٠ --

فردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب تبارك وتعالى إنه قد سبق  
منى أنهم إليها لا يرجعون ، قال يارب فأبلغ من ورائى فأُنزل الله  
عز وجل :

( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ) .

ذلك درس للشهادة بليغ ولوحة رائعة من لوحات الجهاد في سيرتك  
وما أوسع رحابك يا رسول الله .

يا صانع الرجال ومعلم الأبطال :

---

## ويوم حنين

قال تعالى :

( وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً  
وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّرِينَ \* ثُمَّ  
أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ . . . ) (١)

عاد المسلمون من عمرة القضاء وقد ترك سلوكهم في نفوس أهل  
مكة آثاراً لا يمكن إغفالها ، فها أنت يارسول الله في ألفين من  
المسلمين يعودون في ركابك بعد زيارة بيت الله الحرام في عمرة  
القضاء وقد رأى أهل مكة منهم ما أثار إعجابهم وهز تماسكهم وزلزل  
بنيانهم .

ولا تمر أيام حتى يقول خالد بن الوليد فارس قریش يوم أحد :

والله لقد استقام المنسم ، وإن الرجل لنبي .

ويقابله في بعض الطريق عمرو بن العاص الذي أشرقت شمس  
الحقيقة في نفسه هو أيضا ، فيتوجهان معا حيث يعلنان إسلامهما بن  
يديك .

---

( ١ ) الآيتان ٢٥ ، ٢٦ من سورة التوبة .

وتبعهما الكثير من أهل مكة هؤلاء الذين شاهدوا شوارق الإيمان  
تشرق على بطحاء مكة أيام عمرة القضاء الثلاثة .

وغر الأيام ويدخل الناس في دين الله أفواجا وتصبح مكة كلها  
مهيأة لأن تفتح أبوابها للدعوة الجديدة .

فها هي قريش تنقض عهد الحديبية وتعتدى هي وحلفاؤها على  
قبيلة خزاعة وهي قد دخلت في عهدك بعد صلح الحديبية فاستنصرت  
خزاعة بك يارسول الله فنقول لعمر بن سالم الخزاعي وقد جاءك  
مستنصرا :

نصرت يا عمرو بن سالم .

وترى بثاقب فكرك وبعد نظرك أن فتح مكة قد جاء أوانه حماية  
للدعوة الإسلامية وإنهاء لمرحلة القلاقل التي تعيشها الجزيرة العربية  
وليبدأ المسلمون عهد الاستقرار والفتوح للقضاء على وثنية المنطقة  
حسب موعود الله .

( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ . . . ) <sup>(١)</sup> .

وتفطن قريش إلى كل هذا فتبعث بأبي سفيان في سفارة تمكاد  
تشبه الاعتذار عما حدث من نقض عهد الحديبية ولمكنه لا يجد آذانا

---

(١) الآية ١١٠ من سورة آل عمران .



صاغية . حتى ابنته أم حبيبة زوجك يارسول الله تطوى الفراش عن مجلسه وتضن عليه به لأنه فراش رسول الله وأبوها رجل مشرك نجس .

يا لها من دولة تلك التي وضعت أساسها ياسيدى يارسول الله .

حتى النساء كن يعلنن كيف يجابهن أحلك المواقف وأدقها .

أراد أبو سفيان أن يوسط ابنته أم حبيبة أم المؤمنين لديك في إطالة عهد الحديبية وتجديده ، ولكنها هي لا تعلم ما اعتزمت عليه من فتح مكة ترفض مجرد جلوس أبيها على فراشك يارسول الله .

وبأبى أبو بكر أن يتوسط في نفس الموضوع :

ثم يذهب أبو سفيان إلى عمر فلا يسمع منه إلا أغلظ الكلمات .

دولة يعلم كل فرد فيها واجبه حيال مسئوليته الكبرى وحيال مسئولية قائده ورأس أمته .

لله در هؤلاء جميعا . فقد أقاموا بسلوكهم قواعد راسخة لإدارة للدولة وبناء الأمة .

وتخفق سفارة أبي سفيان فيعود إلى مكة يحمل النذير إلى أهلها .

وفيما أنت تستعد لفتح مكة وتجهز المسلمين لذلك وتعلمهم بعزمك وقرارك ، والمدينة تعج بالوف المسلمين يجمعون حشودهم وينظمون صفوفهم لبدء مسيرة الفتح ، إذا برجل من أهل بدر تعزيره نوبة من

نوبات الضعف الإنساني فيزل زلة لو أتاها بين يدي غيرك لدفع رأسه ثمتنا لها ، ولكنتك يارسل الله معلم الرجال وصانع الأبطال والعالم بأقدار الناس تأخذ بيده وتقبل عثرته :

فها هو حاطب بن أبي بلتعة ما إن يعلم باستعداد المسلمين لفتح مكة حتى يكتب كتابا إلى قريش يخبرهم بذلك ثم يعطيه امرأة ويجعل لها مكافأة على أن تبلغه قريشا فتخفيه في رأسها وتنطلق إلى مكة ، ويأتيك خبر السماء بأمر حاطب فتبعث عليا بن أبي طالب والزبير ابن العوام في طلب المرأة فيلحقان بها في بعض الطريق ويعودان بالكتاب وتستدعي حاطب بن يدك تقول له :

يا حاطب ما حملك على هذا ؟

فيقول :

يارسل الله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأة ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم عليهم .

وهنا ينهض عمر بن الخطاب ويقول :

يارسل الله ، دعني لأضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق .

ولكنك تنهى الموقف المحزن بلمسة من لمسات حنانك ونفحة من نفحات هديك فتقول :

وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطاع إلى أصحاب بدر فقال :  
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

وينزل رأى السماء في قوله عز وجل :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ  
إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ  
الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَخْرِجْتُمْ جِهَادًا  
فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا  
أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ )<sup>(١)</sup> .

وتحصى يارسول الله إلى ما أراد لك ربك وهداك إليه إلى حيث  
تفتح لك مكة أبوابها .

ويقابلك أبو سفيان في بعض الطريق فيعان إسلامه بين يديك فتأمر  
عمر العباس أن يجلسه عند مقدمة الجبل بمضيق الوادي حتى تمر أمامه  
جنود الله ، وتعلم يارسول الله نفسية الرجل فتقول :

من دخل دار أئى سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن  
ومن أغلق بابه فهو آمن .

ويقف أبو سفيان وحشود المسلمين تمر أمامه إلى مكة حتى يشاهد  
كتيبتك الخضراء من المهاجرين والأنصار فيقول للعباس :  
من هؤلاء يا أبا الفضل ؟

---

( ١ ) الآية ١ من سورة المتحنة .

فيقول له :

هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار .

فيقول أبو سفيان :

يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما :

فيقول له العباس :

وبحك إنها النبوة .

ويدخل المسلمون مكة في عشرة آلاف مقاتل تهدر جموعهم بتسبيح الله جل شأنه يرفعون راياتهم لينضوى تحتها أهل مكة يعلنون إسلامهم دون قتال يذكر .

وتقف ياسيدي يا رسول الله أمام باب الكعبة في لحظة لا نشك أنها من أخطر لحظات الدعوة الإسلامية ، فهي تمثل نهاية عهد من الصراع القبلي الذي لا طائل وراءه وبداية عهد من الإخاء والمساواة والعدل والاستقرار استعدادا لبناء هذا الصرح الشامخ لدولة الإسلام على مبادئ وقواعد واضحة المفاهيم لتكون نبراسا تهتدى به أمم العالم في وقت ضاعت فيه المفاهيم واندثرت الوحداية وسط صلافة أم المنطقة الوثنية وسطوة الصليبية الغربية التي كان يرزح تحت نيرها لوصف عالم هذه الفترة .

تقف ياسيدي يا رسول الله أمام باب الكعبة تنهى مشاكل فترة من أعقد فترات الدعوة لبدأ المسلمون بعدها مرحلة البناء والاستعداد

للانطلاق العقائدى شرقا وغربا لتقوم حضارة زاهرة تقضى على  
وثنية المنطقة إلى غير رجعة وتوحدها من الخابج إلى المحيط تحت لواء  
الدعوة الإسلامية لتشع بعد ذلك إلى الشرق حتى الصين وإلى الغرب  
حتى الأندلس وجنوب فرنسا .

تقف ياسيدى يارسول الله أمام باب الكعبة وتقول :

لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ،  
وهزم الأحزاب وحده ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم  
نحوة الجاهلية وتعظمها بالآباء : الناس من آدم ، وآدم من تراب ؟

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُ شُعُوبًا  
وَقَبَائِلَ لِّتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ١١ .

يا معشر قريش ، ويا أهل مكة ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟

قالوا :

خبيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم .

فتقول لهم :

اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وبهذا أعتقت يا رسول الله أهل مكة كلها الذين كذبوك وآذوك  
وظاهرُوا عليك وأخرجوك :

وكان لعفوك هذا أثره السريع في دخول الجميع في الإسلام  
وقد بهرهم سلوكك النبوي الرائع حتى هند بنت عتبة التي لاكت  
كبد عمك حمزة شهيد أحد عفوت عنها وقبلت بيعتها ، فقد وسم  
كرمك وعفوك كل أهل مكة ، أنت عين العناية الربانية وشمس  
للشريعة النبوية ، أنت الحبيب الأكرم والنبي المكرم الهادي إلى  
المصراط المستقيم .

ونحن ندعو الله أن يفتح أقفال قلوبنا بمفاتيح حبك كما أحبك  
هؤلاء الذين شملهم عفوك واستظلوا بظل سماحتك وكرمك .

وتقيم في مكة نصف شهر تخرج بعده لملاقة هوازن وثقيف الذين  
نزلوا بجنين يريدون قتالك وقد أمروا عليهم مالك بن عوف ، وقد  
اجتمع لك عشرة آلاف من أصحابك الذين فتح الله بهم مكة مع  
ألفين من أهل مكة :

وكان مالك بن عوف قد عبأ قومه وساق مع الناس أبناءهم ونساءهم  
وأموالهم حتى قال له دريد بن الصمة : ولم ؟

قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل  
عهم :

فقال له : راعى ضأن والله ، هل يرد المهزم شئاً ، إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كنت عليك فضحت في أهلك ومالك .

ولم يقبل مالك النصيحة وكن بقومه في شعاب ومضايق وادى تهامة ، وفي عماية الصبح والمسلمون يتقدمون لملاقاة القوم إذا بهم ينقضون على جيش المسلمين ويباغثونه ويشدون عليه شدة رجل واحد ، حتى انفقر القوم لا يلوى أحد على أحد .

وتنحاز يا رسول الله ذات اليمين وتقول :

أين أيها الناس ؟ هلم لى ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، ولكن المفاجأة كانت شديدة فلم تغن المسلمين كثرتهم ، فانطلق الناس لا يلوون على شئ إلا أنك تقف في نفر من صحابتك من المهاجرين والأنصار وأهل بيتك منهم أبو بكر وعمر وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وربيعة ابن الحارث وأيمن بن عبيد وهو ابن أم أيمن حاضنتك يا رسول الله وقد استشهد في هذا اليوم وأسامة بن زيد بن بحارثة .

وكان بعض أهل مكة حديثي عهد بالإسلام فتكلم بعضهم في ذلك فقال أبو سفيان :

لا تنتهى هزيمتهم دون البحر .

وقال غيره : ألا بطل السحر اليوم .

— ١٥٠ —

وطمع آخر في قتلك يا رسول الله فيها هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة  
يقول :

اليوم أدرك ثأرى - وكان أبوه قد قتل يوم أحد - اليوم أقتل  
محمدا .

ولكنك تقف في هذه الجماعة المؤمنة الصامدة أمام إعصار الشرك  
تخاطب العباس عمك قائلا :

يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب السمرة .

ويصرخ العباس بذلك النداء .

فيرد الأنصار :

لبيك . لبيك .

ويلوى كل منهم عنق بغيره فلا يقدر على ذلك فيخلى سبيله في  
الناس ويندفع إلى حيث الجماعة الصامدة في وجه الطوفان والوثنية  
الغادرة الهادرة .

وقد صمدت هذه الجماعة حتى انهزم القوم وارتدوا على أعقابهم :

وتقف على بغلتك البيضاء وتأخذ حفنة من تراب ترمي بها في وجوه  
القوم وتقول :

حم لا ينصرون ! فيولى المشركون مدبرين .



وفى ذلك نزل قول الله عز وجل :

(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعَجَبْتَكُمْ  
كَثَرْتُكُمْ فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا  
رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ \* ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ  
وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ \* ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ  
فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً  
فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) (١).

وكان نصر المسلمين مؤزرا دفعوا ثمنه غاليسا من أرواح الشهداء  
واسماتة المهاجرين والأنصار فى الالتفاف حولك يا رسول الله .

وكان سبي هوازن من النساء والذراى عدد كثير ومن الإبل  
سته آلاف بعير ومن الشاء مالا يحصى .

ويأتى وفد هوازن إليك يا رسول الله يقول :

يا رسول الله إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالا يخفى عليك  
فامنن علينا من الله عليك .

..

— ١٥٢ —

فتقول لهم :

أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟

فيقولون :

يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، بل ترد علينا نساءنا وأبنائنا فهم أحب إلينا .

فتقول لهم :

أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، فإذا أنا صليت بالناس فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فأسعطيكم عند ذلك وأسأل لكم ، وتصلى الظهر فيقف القوم يقولون ما قلت لهم فتقول :

أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم .

فيقول المهاجرون :

وما كان لنا فهو لرسول الله .

فردوا إلى الناس أبنائهم ونساءهم .

وتسأل عن مصير قائد هذه الزوبعة الوثنية فتعلم أنه التجأ إلى ثقيف بالطائف يواصل تدبيره ضد الدعوة .

ولكن فطرتك تهديك دائماً إلى كسر شوكة الشر في نفوس البشر

فتقول للقوم :

أخبروا مالكا بن عوف أنه إن أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل .

ويعلم مالك ذلك فيخرج من الطائف ليلا على فرسه ويلحق بك يا رسول الله فترد عليه أهله وماله وتعطيه مائة من الإبل ويسلم فيحسن إسلامه ثم تزيد في إحسانك إليه فتستعمله على قومه وعلى من أسلم من القبائل حول الطائف يقاتل بهم ثقيفا .

وهنا ترتفع أصوات بعض القوم :

يا رسول الله ، اقسم علينا فيئنا من الإبل والغنم .

فتأخذ وبرة من جنب بعير تجعلها بين إصبعيك ترفعها وتقول :

أيها الناس إنه والله ليس لي من فيثكم ولا هذه البرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم .

ثم تؤلف قلوب حديثي العهد بالإسلام بكرم عطائك ، فتعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير وابنه معاوية مائة بعير وحكيم بن حزام مائة بعير وصفوان بن أمية مائة بعير وغيرهم من الأشراف ورؤساء القبائل ثم تعطى من دونهم في القبائل خمسين من الإبل ، وقد تحول هؤلاء إلى الثناء عليك والتحدث عن كرمك وسماحتك .

ويقبل أعرابي من بني تميم يقول لك :

يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ! .

فتقول له :

أجل . فكيف رأيت ؟

فيقول لك :

لم أرك عدلت .

وتغضب يا رسول الله وما كان أقل غضبك وتقول له :

ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون .

ويتقدم عمر بن الخطاب قائلا :

— يا رسول الله ألا نقتله ؟ .

فتقول :

لا . دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه  
كما يخرج السهم من الرمية ، يتلون القرآن لا يتجاوز تراقيهم .

وستمر الأيام والسنون ويقف على بن أبي طالب بعد وقعة النهروان  
التي دارت بينه وبين الخوارج أيام الفتنة الكبرى يبحث جاهداً عن  
أحد القتلى ويأمر المسلمين حوله أن يجدوا في البحث عنه بين صرعى  
الخوارج وهو يقول لهم : والله ما كذبت ولا كذبت ، ويحكم التسوا  
الرجل فإنه في القتلى . ويجدون في البحث حتى يعثروا على جثته وقد  
عرفوه بشامة على عضده . فيخر على كرم الله وجهه ساجدا ، ثم يرفع  
رأسه قائلا :

والله ما كذبت ولا كذبت لقد قتلتهم شر الناس .

كان هذا القتيل المارق من جيش علي إلى فلول الخوارج هو ذلك  
الأعرابي الذي وقف يصيح في وجهك يوم حنين يا رسول الله قاتلا :  
اعدل يا محمد فإنك لم تعدل .

ولم يصب الأنصار من هذا العطاء شيئاً فأخذوا يتحدثون ويقولون :  
لنقى والله رسول الله قومه .

ورأى سعد بن عباد أن يبلغك ذلك يا رسول الله ويؤيدهم فيما  
ذهبوا إليه فجاءك قاتلا :

يا رسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم  
لما صنعت في هذا النىء الذى أصبت ، قسمت في قومك وأعطيت  
عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحى من الأنصار شيء  
فتقول له :

فأين أنت من ذلك يا سعد !

فيقول لك :

يا رسول الله ما أنا إلا من قومي .

فتقول له :

فاجمع لى قومك في الحظيرة .

ويخرج سعد بن عباد يجمع قومه في الحظيرة وتأتى إليهم يا رسول  
الله وتقف بينهم تحمد الله وتثنى عليه ثم تقول لهم :

— ١٥٦ —

يا معشر الأنصار ، ما قاله بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها في  
أنفسكم ، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء  
فألف الله بين قلوبكم .

قالوا :

بلى ، لله ولرسوله المن والفضل :

فتقول لهم :

ألا تجيبوني يا معشر الأنصار !

قالوا :

وبماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل .

فتقول لهم :

أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم ولصدقتم ، أتيتنا مكذبا فصدقناك .  
ونخذولا فنصرناك ، وطريدا فأويناك وعائلا فأسيناك ، وجدتم في  
أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا  
ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس  
بالشاء والبغير وترجعوا برسول الله إلى رحاكم فوالذي نفس محمد  
بيده لولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا  
وسلك الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار  
وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار :

فبيكى الأنصار حتى تخضل لحاهم ويقولون :

رضينا برسول الله قسما وحظا .

طوبى للأنصار .

لشد ما أذهلهم هذا الموقف وهم يقفون حيارى مشدوهين وآتت  
توزع النىء بيمينك وشمالك على أهل مكة ومن حولها تفتح بذلك  
قلوبهم الموصدة للدعوة .

وقد علمت بفطرتك دنيا الأنصار وما أبعتها عن دنيا أنى سفيان  
وأترابه من المؤلفة قلوبهم ، وقفوا حيارى مذهولين وقد تخيلوا أن  
دنيا مكة قد طغت على دنياهم الخالصة لحب الله وحب رسوله .

واكنك تخرج من كل ذلك النىء الضخم صفر اليدين لتواجه  
جموع الأنصار القلقة تتلج صدورهم بقولك :

أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير  
وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ١٤ .

ليبك وسعديك يا سيدى يا رسول الله .

فلتذهب قریش بالشاء والبعير ولتعد إلى المدينة يحف بك رجال  
لشد ما أحبوك ونصروك وأطاعوك ، رجال لا تلهيهم تجارة أو بيع  
عن ذكر الله .

— ١٥٨ —

طوبى لهؤلاء وقد شرفت دنياهم وأنرت آخرتهم .  
وطوبى لنا لأننا لم نرك وآمنا بك وأحبيناك ؛  
وطوبى لكل موثمن اتبع دينك ونهج نهجك وسار على هديك .  
اللهم إني أعوذ بك من جهلى .  
وبغنائك من فقرى .  
وبعزلك من ذلى ؛  
وبحولك وقوتك من عجزى وضعى .

— — — — —



## فلما قضى زيد منها وطرا

قال تعالى :

( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا )<sup>(١)</sup>.

سيدى يا رسول الله .

أستأذن مرة أخرى قبل أن أعرض هذه الصورة الإنسانية من صور الجهاد النفسى الذى خضضته فى سبيل إرساء دعائم القيم الدينية والأخلاقية لأمة الإسلام :

ويدعونى إلى ذلك أنها تتناول جانباً خاصاً من حياتك يا رسول الله ، ولكن القرآن الكريم تناوله بمعجز بيانه ليكون ميراث أمتك من القيم والأخلاق والسلوك ،

وأستأذن مرة أخرى لأسوق اعتذارى وأسفى لما أبدر من بعض كتاب السيرة القدامى والمحدثين الذين تناولوا هذه الصورة من زاوية بعيدة عن حبك . . مدعين فيها ( ببشرية الرسول . . )

---

( ١ ) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب .

وربما انساق بعضهم وراء هذه النظرية متأثرين برأى المسيحية في مسيحها وألوهيته فأرادوا نفي ذلك (ببشرية الرسل) .

ونحن لاننفي هذه الصفة عنك يا رسول الله ولا عن الرسل أجمعين ولكننا نقول إنها بشرية ليست كالبشرية العادية .

ونحن لا نتصور أن يكون بشرا عاديا من قال عنه العزيز الحكيم :

( وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا )<sup>(١)</sup> .

( وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي )<sup>(٢)</sup> .

وكيف تكون بشريتك مثلنا وقد قال لك رب العزة :

( وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا )<sup>(٣)</sup> .

والذين يجعلون بشرية الرسل قضية بعيدة عن وشائج السماء ودروبها ومسالكها يجانبهم الصواب دائما ،

وهو غبن كبير وحكم جائر لمكانة النبوة ومقام الرسالة .

وبشرية الرسل مسألة لا جدال فيها :

فيقول جل شأنه في سورة الإسراء :

---

( ١ ) الآية ١٦٤ من سورة النساء .

( ٢ ) الآية ٤١ من سورة طه .

( ٣ ) الآية ٤٨ من سورة الطور .

( قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ) (١١).

وفي سورة الكهف :

( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ . . . ) (١٢).

وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم تأكيد على بشرية الأنبياء ،  
ولكننا يجب أن نفهم جيداً من روح القرآن ومكانة الأنبياء كما جاءت  
فيه أن بشريتهم تستلهم السبأ أفعالها وتشهدى الله سلها وتسال الذات  
للعلية علمها .

إنها بشرية خاصة من معدن خاص اصطفاه الله واصطنعها لنفسه .

ولهذا فإن الرسل كلهم بشر ولكن البشر ليسوا كلهم أنبياء .

وليس أدل على أن سلوك الأنبياء ليس بشريا صرفا كسلوك باقي  
البشر وخاصة فيما كان له علاقة بالمبادئ والقيم والتشريع شأن الموضوع  
الذي نعرضه من موقف القرآن الكريم من نساء النبي .

فالقرآن الكريم يوضح لنا في سورة الأحزاب رأيه في كيفية سلوكهم  
بل ويقول صراحة أنهم لسن كباقي نساء البشر .

---

( ١ ) الآية ٩٣ من سورة الإسراء .

( ٢ ) الآية ١١٠ من سورة الكهف .

ففي سورة الأحزاب يقول جل شأنه :

يُنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ (١١).

والمفهوم الواضح من سياق الآيات أنهن لسن كأحد من النساء في تصرفاتهن وسلوكهن البشرى فيما يتصل بالعلاقات والأخلاق والقيم والمبادئ .

ثم أنه ذهب إلى أوضح من ذلك حين جعل الجزاء لهن ضعفين .

ففي نفس السورة يقول عز وجل :

( يٰٓنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفُجِئَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ) (١٢) .

وهذه العناية الخاصة بسلوك نساء النبي مرجعها إلى ما جاء في نفس

السورة :

(وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثَلَّىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَةِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ..) (١٣) .

---

( ١ ) الآية ٣٢ من سورة الأحزاب .

( ٢ ) الآيتان ٣٠ ، ٣١ من سورة الأحزاب .

( ٣ ) الآية ٣٤ من سورة الأحزاب .

وبهذا يتضح مفهوم هذه التفرقة الواضحة بينهن وبين نساء العالمين  
إذ يجب أن يكون لما يتلى من آيات الله والحكمة في بيوتهن نناج رفيع  
من السلوك والقيم والأخلاق قد لا يتأتى لغيرهن .

فاذا كان هذا وضع هؤلاء ، فما هو وضع النبي نفسه صاحب  
الرسالة وسفير السماء والقلوة الحسنة لأمته ؟

كيف يتأتى لنا أن نتحدث عن بشرتك يا رسول الله حين رأيت  
جمال زينب بنت جحش وهي في منزل زيد كما يراه البشر العادي  
فيجری لسانك بقولك : سبحان الله العظيم ، سبحان الله مصرف  
القلوب . وكأنك لم ترها قبل الآن ، وكأن السماء لم تنزل قرآنا في  
زواجها بزید ؟ !!

بل إن بعض كتب السيرة لا تخلج من الغوص إلى درك الحديث  
فتجعل زيدا يأتيك ويعرض عليك زوجه وهو يقول لك :

يا رسول الله ، بلغني أنك جئت منزلي ، فهلا دخلت ، بأبي أنت  
وأُمي يا رسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها .

والوضع والتأليف واضحان في قول زيد ، فمن أين له أن يعلم أن  
زينب قد أعجبتك فعلا إن كان ذلك حقيقة .

وهذه الصورة لا تستقيم مع مكانة الأنبياء وعلو خلقهم ، ولم أرها  
شبيها إلا في التوراة المحرفة التي لطخت صور الأنبياء بكل ما يشين  
أحط البشر .

فكل ماجاء فى كتب السيرة خاصا بموضوع زينب حول تلك الصورة إنما هو من الإسرائيليات التى جعلت من أسفار التوراة منبعها لها. إن للأنبياء قلوبا راسخة كالجبال شامخة كالقمم ، لا ترى إلا بعين الفضائل ولا يفتنها ما يفتن غيرها من البشر من مباهج الدنيا وإلا لاضلت الرسائل وضاعت العقائد وشردت الأمم .

وإلى هؤلاء المتشدقين ببشرية محمد نقول : يجب أن تكتب السيرة بأسلوب بعيد عن المقدمات والنتائج وإنما تعالج بدموع المحبين وتأوهات العاشقين ومداد الصابرين ووجد الراغبين .

ولم أقل هذا إلا استلهاما لقول الله عز وجل وهو يصف إبراهيم الخليل عليه السلام :

( إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ) (١) .

فعلى هذا الدرب يا رسول الله نتوجه إلى رحاب سيرتك لأنه درب المحبين وطريق العاشقين ، يحدونا إخلاص الموقنين ، وإنابة المحبتين العارفين بمسالك سننك ودروب سيرتك .

وفى هذه الصورة الخاصة من سيرتك يا رسول الله نرى الكثير من القيم والمبادئ نرى العدل المطلق والمساواة المطلقة .

---

( ١ ) الآية ١١٤ من سورة التوبة .

نرى القيم والمثل وهل كانت حياتك كلها إلا قبا ومثلا عليـ'  
لأمتك :

•••

كان زيد بن حارثة ضمن رقيق لحكيم بن حزام بن خويلد فدخلت عليه يوما السيدة خديجة بنت عمته فاختارت زيدا من بين هؤلاء الرقيق ثم وهبته لك يا رسول الله فأعتقته وتمر الأيام وزيد يرى في صحبتك الرضا والسعادة ، ويشعر أنه يتنفس هواء أنقى من هواء الدنيا حوله ، وترى عينيه شوارق أنوارك وهو يعيش في رحابك .

ويعلم أهل زيد بمقامه عندك يا رسول الله وقد مرت السنون بعد اختطافه وبيعه قبل أن يستقر في بيتك حرا كريما .

فيقدم إلى مكة أبوه وعمه يطلبان منك أن يصحبهما زيد بعد غيابه الطويل ويعرضان الفداء فتقول 'لهما : دعوه فخبروه فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار' على من اختارني أحدا ؟

وهنا ينظر إليك زيد وقد امتلأت عيناه بضياء حضرتك وغمرت نفسه نفحات حبك وذاب كيانه في بحر أنوارك فيقول لك :

ما أنا بالذي أختار عليك أحدا ، أنت منى بمكان الأب والأم :

فيقول الأب والعم : ويحك يا زيد ! ! أختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ؟

فيقول زيد : نعم ! إني رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذى أختار عليه أحدا أبداً .

وهنا تقول يا رسول الله : يا من حضروا وشهدوا إن زيدا ابني أرثه ويرثني .

وتعلو الدهشة وجه الأب والعم لهذه المشاهد التي تجري أمامهم والتي تبدو غريبة عن مجتمعات القبائل في ذلك الوقت ولكن نفس الأب قد طابت بالرضا لهذا المشهد الفريد من الحب والولاء .

وغادر العم والأب مكة واستمر زيد يدعى زيد بن محمد .

ويوم جاءك الوحي يا رسول الله برسالة ربك كان زيد أول الملبين واحتمل معك شأن غيره من المسلمين صنوف الأذى والعذاب تصبهم قريش على كل من صبأ عن ديانة أوثانها ، حتى أذن الله للمسلمين بالهجرة ، فهاجر زيد مع من هاجر من المسلمين إلى المدينة .

وإذا هو يشهد غزوة بدر ويبلّ فيها أحسن البلاء ، ويشهد غزوة أحد ويجاهد فيها أروع الجهاد .

وخلال هذه السنين تعامله يا رسول الله معاملة واحد من أفراد أسرته . وتريد له زوجة تليق بمكانته في بيتك وفي قلبك فتحطبك له بنت عمته زينب بنت جحش .

وهنا نرى الزاوية الأولى من زوايا هذه اللوحة المشرقة وفيها العدل المطلق والمساواة المطلقة ، فزيد أصله رقيق اشتريته السيدة خديجة



واعتقته يا رسول الله ومهما كان من تبنيك له فلن يغير ذلك من رأى زينب وأخيها عبد الله بن جحش وقد رفضا هذا الزواج .  
 إنها الهاشمية القرشية تزوج هذا العبد الرقيق الذى اعتقته وتبنيته !!  
 إنها بنت أميمة بنت عبد المطلب عمك يا رسول الله .  
 والإسلام لا ينظر إلى العدل والمساواة من هذه الزوايا .  
 وإنما يقيم العدل المطلق بجوار الوحداية المطلقة . ولا بد للعصية الجاهلية أن تزول من نفوس المسلمين ولا بد من التطبيق العملى لهذه القيم الدينية والأخلاقية .  
 وينزل الوحي بأمر ربك فى هذا الموقف :

( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا )<sup>(١)</sup> .

وكان هذا رأى رأى السماء فى قضية هذا الزواج .

وتزوج زيد الرقيق الذى اعتقته وتبنيته يا رسول الله بسليمة البيت الهاشمى القرشى وبنت عمك لتكتمل الصورة الجميلة للمساواة المطلقة ، والعدل المطلق ، وليرى المسلمون عمليا كيف تقام القيم وتغرس المبادئ ، ويمهد السبيل أمام قواعد الدعوة وليكون هذا الحكم الواضح الصريح الذى أطلقه القرآن الكريم موضع التنفيذ والتطبيق :

---

( ١ ) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب .

(إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقُّكُمْ<sup>(١)</sup>) .

وتعيش زينب في بيت زيد ، هي الهاشمية القرشية حفيدة عبد المطلب وهو الرقيق الذي أعتقته ولم يغير تبنيك له شيئاً في نفس زينب .

ولا تهدأ نفسية زينب أمام هذه الفوارق وأمام هذه الزيجة فتعتقد الأمور وتستمر هي في الفخر بنسبها فيشعر زيد بسابق رقه وعبوديته فيتوجه إليك يا رسول الله يشتكي إليك حال زينب ويطلب منك تطليقها منه وأنت تقول له :

(أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ<sup>(٢)</sup>) .

ولكن الأمر ينتهي بطلاق زينب من زيد .

وهنا تنتهي قضية العدل والمساواة في هذه الصورة لتطالعا قضية التشريع وإلغاء التبني وهي صورة متكاملة متناسقة منتظمة الأبعاد .

فالإسلام لا ينظر إلى أقدار البشر ومكانتهم بقدر حسبهم ونسبهم وإنما بقدر تقواهم وعملهم ، وقد هدم هذه النعرة الجاهلية بزواج زيد من زينب بنت جحش .

---

( ١ ) الآية ١٣ من سورة الحجرات .

( ٢ ) الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

وأراد رب العزة أن تكتمل الصورة بقضية التبنى ومدى حقوقه والتزاماته وقد كان للابن المتبنى حتى ذلك الوقت جميع حقوق الابن الشرعى من إرث وخلافه .

فنزّل الوحي بقوله تعالى :

(وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ \* ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ<sup>(١)</sup> ) .

واستكمالاً لأوجه هذه القضية وتطبيقاً لهذا التشريع حتى تتكامل زوايا الصورة الفريدة ، فلتكن أنت يا رسول الله مندوب السماء لتحقيق هذا التشريع لأمتك حتى يزول مارسخ في أذهان العرب وما وقس في قلوبهم من حقوق الابن المتبنى .

وقد كانت زينب بنت جحش بطلّة قضية المساواة والعدل . وهى زوجة ابنك بالتبني زيد ، وقد طلقها زيد ، وألغى الإسلام التبنى . فلتكن زينب هى الزوجة التى ترشحها السماء لك يا رسول الله لتنتهى نظرية التبنى عند العرب ، فلتكن هى بطلّة القضية الثانية .

ولتكن أنت يا رسول الله صاحب الجهاد النفسى فى هذه القضية فتضم زينب إلى نساءك وأنت تعلم حكمة ربك وعدل تشريعه . ولكن السنة الناس لا ترحم حتى الأنبياء ورسل السماء .

---

( ١ ) الآية ٤ من سورة الأحزاب .

أقد آذوهم في مجال التوحيد والعقيدة .

فيطوف بنفسك الصافية بعض الخشية من سياط ألسنتهم والمجال  
هنا مجال العرف والتقاليد السارية بين قبائل العرب .

ولكن الوحي الكريم يأتيك بقول ربك :

( وَتُخَفِّي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ  
أَنْ تَخْشَاهُ . ( ١١ ) .

وهو حديث سماوى واضح مستقيم .

وعتاب ربانى ينأى بك عن مناهات البشر وخشية ألسنتهم ويبعد  
إلى نفسك ضياءها وهو يساند قضيتك فى الزواج لأنها قضية السماء  
فيقول تعالى :

( فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْنَدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِيَكَىٰ لَا يَكُونَ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ  
أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ( ٢ ) ) .

وتنتهى قضية التبنى بزواجك يا رسول الله من زينب بنت جحش  
وهى زاوية التشريع فى صورتنا هذه لتبدو لنا زاوية أخرى هى الوفاء  
الصافى النبيل الذى يخلد أمام الأحداث ولا تبلوه الأيام .

( ١ ) الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

( ٢ ) الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

فها هو زيد يمضى معك يا رسول الله صحابيا مجاهدا كبيرا يشارك  
في الغزوات وهو الأمير دائما على السرايا .

وتريد له زوجة كريمة يكرمها الله به ويكرمه بها فلتكن هذه الزوجة  
تلك السيدة الكريمة التي تقول عنها حين تراها : ( هذه بقية أهل  
بيتي ) .

إنها أم أيمن حاضنتك يا رسول الله .

هي التي لازمتك طفلا وصبيًا وشابا ونبيًا . وسارت معك رحلة  
طويلة شاقة مع حوادث دنياك ، فوقفت معك توارى جثمان أملك  
عند الأبواء ، وقد احتضنتك وأنت في السادسة تقف مبهورا لموت  
أملك في طريق العودة من يثرب إلى مكة .

ثم تهاجر إلى يثرب بعد ذلك نبيا ومجاهدا وصاحب رسالة تسعى  
وراءك وحدها وسط متاهات الدنيا حولها وقيط الصحراء يكاد يخلع  
لبها ولكن الأمل يحدها إلى لقائك .

إنها تهاجر وحيدة من مكة إلى المدينة وتكاد تهلك عطشا وهي  
تجاهد الصحراء وتعرض فيها لأبشع ألوان العذاب ولكنها ترى دلوا  
يدنو منها وقد تدلى من السماء فتشرب منه حتى ترتوي ، وتعيش أم  
أيمن بعد ذلك حتى خلافة عثمان رضي الله عنه فلا تشتكي الظمأ  
ولا تشعر به لأنها ارتوت من ماء الخلود ماء السماء : ماء الرضا والسكينة .

الله درك يا أم أيمن يا حاضنة الرسول يا بقية أهل بيته .

سيحفظ لك التاريخ وستروى عنك كتب السيرة كلمات قليلة إن دلت على شيء فأنما تدل على بعد نظرك وثاقب فكرك وإلهامك الفطري وكيف لا وقد عاشرت العظيم الكريم محمدا بن عبد الله .

سيحفظ لك التاريخ مقالة مختصرة اثر مصرع أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه حين بلغك مصرعه فتقولين : اليوم وهى الإسلام .

وستمر الأيام وتثبت الأحداث أن مقالاتك هذه هى أبان ما قيل فى مصرع ابن الخطاب ، وتجلس يوما بين أصحابك يا رسول الله وتقول : من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أئمن . فيتزوجها زيد بن حارثة ليكرمه الله بها ويكرمها به .

وجاءت له بولده أسامة بن زيد سيكون الحب بن الحب وسيكون أميراً للجيش كما كان أبوه أميراً للسرايا .

فها هى غزوة مؤتة يعقد لواؤها لزيد وبعده لجعفر بن أبى طالب وبعده لعبد الله بن رواحة ويستشهد زيد فى هذه الغزوة ويستشهد بعده صاحباه .

وببلغك ذلك يا رسول الله فتقول : اللهم اغفر لزيد ، اللهم اغفر لزيد . اللهم اغفر لزيد ، اللهم اغفر لجعفر وعبد الله بن رواحة : وتبكى ابنة زيد لاستشهاد أبيها فتبكى لبيكائها حتى تنتحب يا رسول الله فيقول لك سعد بن عباد : :

— ١٧٣ —

يا رسول الله ما هذا ؟

فتقول له : هذا شوق الحبيب إلى حبيبه ! !

فليكن لك يا أم أيمن عزاء في ابنك أسامة الحب بن الحب الذى  
قاد جيش المسلمين لغزو الروم وفيه كبار رجال المهاجرين والأنصار .

\* \* \*

والآن وقد اكتملت هذه الصورة المشرقة الجميلة الصافية التى تحمل  
كل زوايا العدل والمساواة والوفاء هل نرى غيرك يا رسول الله تستوعب  
رحابه الطاهرة هذه القيم الفاضلة ؟

لقد كانت حياتك معينا لا ينضب لكل ماترجوه العظمة الإنسانية .  
وكيف لا ؟

وقد صنعت بهذه القيم أمة وأقامت دينا .  
وبهذه النفحات أقامت أمتك فى الأرض حضارة وملأناها علما ونورا .

---

## قصة الإفك

---

قال تعالى :

( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ )<sup>(١)</sup> .

ما أوسع رحابك يا رسول الله .

وما أبجل حلمك وكرمك الذى يدعونى إلى عرض صورة خاصة من صور سيرتك المشرقة الطاهرة تلك الصورة التى اهتزت لها نفسك حزنا وألما واهتز لها بيتك واهتزت لها نفوس المؤمنين جميعاً .

إنها قصة الإفك .

وهى محنة إنسانية تخوضها يا رسول الله وتجاهد فيها لتتضح المعالم وتحدد المناهج لأمتك .

وكم فى حياتك وسيرتك من المثل والمبادئ والقيم التى تقوم كل منها كقمة فى السلوك وكعلامة فى طريق التقدم الإنسانى نحو العظمة النفسية للإنسان وكماله الخلقى .

---

( ١ ) الآية ١١ من سورة النور .



وقصة الإفك صورة من صور الجهاد النفسى الذى خضته يا رسول الله وأبليت فيه أحسن البلاء .

أرسلك الله هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . فأعمالك هدى ، وأفعالك دعاء ، وأخلاقك نور .

وهذه الصورة التى تعرضها من سيرتك يا رسول الله توضح لأمتك كيف تسير إذا أظلمت دنيا المبادئ وغابت شمس الحقيقة وراء سحب الشك وضباب الخيرة .

وأية محنة أبشع من تلك التى يتعرض لها الإنسان حين يخوض الناس فى سمعة يئته ١٩

حتى أنت يا رسول الله لم تسلم من هذه المحنة ، لأن حياتك صورة لما يتعرض له الناس وسلوكك فيها هو مثل أمتك تحذو حذوه وتنهج نهجه وتنسج جاهدة على منواله .

سرى فى هذه الصورة كيف استطعت بإخلاقك النبوى وأدبك السماوى أن تكون المعلم الفذ والمثل الأعلى حين تعبر هذا المضيق الذى يشيب لهوله الولدان .

وقد تهبأت لغزوة بنى المصطلق فأقرعت بين نسائك كعادتك دائما فخرج سهم عائشة لتصبحك فى هذه الغزوة ، وكانت خفيفة نحيفة تركب فى هودجها وقد وضع أمام خيمتها فيرفعه الرجال وهم لا يكادون يشعرون بها خلفتها ، ثم يضعونه على البعير وينطلقون فى الركب .

وما إن تفرغ من عدوك وتستعد للرحيل إلى المدينة حتى يحدث نزاع يكاد يؤدي إلى فتنة .

ذلك أن أجيرا لعمر بن الخطاب ازدحم على الماء مع رجل من الخزرج فاقتتلا فصرخ الخزرجي : يا معشر الأنصار . وصرخ الأجير يا معشر المهاجرين :

ووجد عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في هذه الصرخة فرصة يشعل بها نار الفتنة بين المهاجرين والأنصار فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم ، والله ماعدونا وجلايب قريش ما قال القائل ( سمنٌ كلبك يأكلك ) . أما والله لنرجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل :

وتبلغك هذه المقالة فهدئك فراستك وفطرتك إلى درء الفتنة بسرعة الرحيل ولكن عبد الله بن أبي بن سلول يأتيك وقد علم أن مقالته قد بلغتك فيحلف بالله أنه ما قالها ، ولكنك تسير بالناس ليلهم ونهارهم تشغلهم عن الحديث فيما شجر بينهم :

وتنزل بهم منزلا قريبا من المدينة تريح فيه الركب قليلا فيأتيك الوحي يفضح المنافقين ويكذب عبد الله بن أبي بن سلول حين حلف أنه ما قال مقالته التي بلغتك :

( هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ \* يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ )<sup>(١)</sup> .

وفي هذه الوقفة خرجت عائشة من خيمتها لبعض حاجتها فانقرط من عنقها عقد لها وهي لا تدري به حتى عادت إلى الرحل فتذكرته فرجعت مكانها تلتسمه .

وجاء المكلفون بحمل هودجها فحملوه وشدوه على البعير وهم لا يشكون أنها بداخله ، وانطلق الركب يغذ السير إلى المدينة . وتعود عائشة فلا تجد بالمعسكر مجيبا ، فتلتف بجلبابها ثم تضطجع في مكانها تنتظر أن يرجع إليها بعض الركب حين يعلمون غيابها .

وفيا هي كذلك إذ مر بها صفوان بن المعطل السلمى وقد كان قد تخلف عن الركب قليلا فرآها في مكانها وعرفها فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أظعينة رسول الله . ما خلفك رحمك الله ؟

ولكنها لم تكلمه ولم ترد عليه ، فقرب البعير وقال : اركبي رحمك الله . واستأخر عنها حتى ركبت فأخذ برأس البعير وانطلق به سريعا يطلب القوم حتى دخل المدينة في وضح النهار وأتى بها بيوت أمهات المؤمنين .

(١) الآيتان ٧ ، ٨ من سورة (المنافقون) .

وفيا أنت تقسم الغنائم والسبايا إذا بعض المنافقين يتهامون . ما بال عائشة قد عادت مع صفوان بعد عودة القوم ؟

ويتورط البعض فيخوض مع الخائضين ومنهم حمنة بنت جحش شقيقة زينب زوجتك يا رسول الله لعلها تنال من عائشة لتحظى أختها بمكانتها عندك ، ومنهم قريب فقير لأبي بكر الصديق كان ينفق عليه هو مسطح بن أثاثة ، ومنهم حسان بن ثابت .

ويقود عبد الله بن أبي كبير المنافقين هذه الحملة المغرضة على بيتك يا رسول الله ، وإذا أنت لاتدرى أية ريح تلك التي تهب على أحب زوجاتك إليك وأقربهن إلى قلبك ، فتبحث في تصرفاتها فلا تجد عليها أى غبار وإذا هى دائماً الصديقة بنت الصديق .

وتمرض عائشة فلا تجد منك يا رسول الله غير الإعراض الواضح عنها وهى لاتدرى سبباً لذلك ولا تعلم شيئاً عما يدور حول سمعتها فتطلب منك أن تمرض فى بيت أبيها فلم تمنع ، وقد منعك حياؤك النبيل أن تواجهها بشئ .

وقد ظلت مريضة أكثر من عشرين يوماً وهى لا تدرى شيئاً مما يدور من حديث حول قصة الإفك وما يلوكه المنافقون من أقاصيص .

ولكنك تقف يا رسول الله بشجاعة نادرة وتخطب الناس قائلاً :

( أيها الناس ، ما بال أناس يؤذونى فى أهلى ويقولون عليهن غير الحق والله ما علمت منهن إلا خيراً ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما دخل بيتنا من بيوتى . إلا وهو معى . )

وثارت نفوس المخلصين الذين يحيطون بك يا رسول الله .

فقام أسيد بن حضير قائلاً : يا رسول الله ان يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم .

فقام سعد بن عباد يرد عليه : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا .

فيرد عليه أسيد : كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين .  
وتثاور الناس وثار بعضهم على بعض وكادت تحدث الفتنة .

ويصل الخبر كله أخيراً بطريق الصدفة إلى عائشة . تعلمه من أم مسطح هذا الذى خاض مع الخائضين في سمعتها ويكاد شامخ كبريائها ينهار أمام هذا الاتهام الجائر وهى زوجة الرسول وبنت الصديق ، فلا تجد غير العبرات تزيل بها بعض الألم الذى يعتصر كيائها ويهز وجودها وتقول لأمها : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به وبلغك ولا تذكرين لى من ذلك شيئاً .

فتقول الأم : أى بنية خفضى الشأن فوالله قلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها .

وتختار الزوجة الطاهرة الشريفة فى أمرها ولا تدرى هى الأخرى أية ربح تلك التى هبت عليها وعلى سمعتها ، وأى هدف ذلك الذى اختاره المنافقون لهجومهم على الرسول الكريم .

إنها محنة إنسانية يحتاج الإنسان إلى جبال من الصبر ليصمد أمامها ،  
ولا يقدر على اجتيازها إلا الأنبياء والمرسلون ومن سار على دربهم من  
الصديقين .

وتذهب يا رسول الله إلى منزل أبي بكر وتدعو أسامة بن زيد وعليها  
ابن أبي طالب تستشيرهما .

فيقول أسامة : يا رسول الله أهلك ولا نعلم علمهن إلا خيرا ، وهذا  
الكذب ، والباطل .

أما علي بن أبي طالب فيقول : يا رسول الله ، إن النساء لكثير  
ولأنك لقادر على أن تستخلف .

ثم يشير باستجواب جارية عائشة فيستجوبها ويغلظ لها القول ولكنها  
تقول : والله ما أعلم إلا خيرا .

وتبلغ المحنة ذروتها وتصل إلى نقطة لا بد أن تصل إليها بعد هذه  
الأيام من التيارات والأعاصير التي يغذيها المنافقون لمحاولة النيل من  
الرسالة في شخص صاحبها ، فتتقدم يا رسول الله بنفسك إلى عائشة  
تواجهها بكل ما يقول الناس وكان ذلك أمام أبيها فتجاس وتحمد الله  
وتثنى عليه ثم تقول :

( يا عائشة ، إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتق الله ، وإن  
كنت قارفت سوءا مما يقول الناس فتوبني إلى الله إن الله يقبل التوبة  
عن عباده ) :

ولا تجد عائشة إلا البكاء تنفس به عن مرجل الألم الذى يكاد ينفجر داخلها وقد ثار الدم فى عروقها وهى تقول لأبويها : ألا نجيبان رسول الله ؟

فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه .

فتقول عائشة : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا والله لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما تقولون لاتصدقوننى . ولكنى أقول كما قال أبو يوسف : (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) .

والسواء تشهد هذا الصراع وإكبتها تركه حينما لتصهر النفوس وتختبر القلوب وترسى دعائم ما تريده من تشريع بعد ذلك : فيأتى الوحى فى لحظة كانت عائشة فيها أشبه بالغريق فى بحر لا قرار له وهى المظلومة المكلومة .

والسواء تفتح أبوابها دائماً لدعاء المظلومين الذين أرقهم الشوق إلى العدل والإنصاف واشتأقت نفوسهم إلى نفحة من نفحات العطف والحنو تمسح ما ران على قلوبهم من ألم الاتهام وندبات الظلم .

فلم تبرح مكانك يا رسول الله حتى يغشاك وحى ربك ثم سرى عنك وقد تصبب عرقك فتقول : (أبشرى يا عائشة قد أنزل الله براءتك) .

وتخرج وتخطب الناس وتتلو قول الله جل شأنه :  
 ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم  
 بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي  
 تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ <sup>(١)</sup> ) .

وقد أمرت بمسطح بن أثاثه وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش  
 وكانوا من أفصحوا بالفاحشة وخاضوا في سمعة عائشة فضربوا حدهم .  
 ثم جاءك الوحي بقوله تعالى :

( وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا  
 مُبْحَذَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ \* يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ  
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \*  
 إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفُحْشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ  
 أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ <sup>(٢)</sup> ) .

وقد نزلت عقوبة رمى المحصنات في قوله تعالى :  
 ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

( ١ ) الآية ١١ من سورة النور .

( ٢ ) الآيات ١٦ - ١٩ من سورة النور .



فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَّ نِيعَ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْفَاسِقُونَ<sup>(١)</sup> .

وقد شمل عفوكم حسان بن ثابت وأمرت أبا بكر أن يعفو عن  
مسطح بن أثاثه وكان ينفق عليه فحلف ألا ينفق عليه شيئاً أبداً بعد أن  
قال في عائشة ما قال .

ولكن السماء لا ترضى عن هذه الأساليب وإنما تروض النفوس  
دائماً للسير على دروب الهداية فينزل الله جل شأنه في معجز بيانه :

(وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَى  
وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا  
تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٢)</sup> ) .  
فيقول أبو بكر : والله لأحب أن يغفر الله لي .

فعفا عن مسطح وصفح عنه وأعاد النفقة إليه ، وقال : والله  
لا أنزعها منه أبداً .

وانتهت بذلك هذه المحنة الإنسانية التي أراد رب العزة أن يمتحنك  
بها يا رسول الله ويمحص بها قلوب المؤمنين ويكشف نفاق المنافقين  
وليضع القواعد لسلوك المسلمين في أدق العلاقات بينهم .

( ١ ) الآية ٩ من سورة النور .

( ٢ ) الآية ٢٢ من سورة النور .

— ١٨٤ —

ولأنها لصورة رائعة لجهادك النفسى الذى وصفته بالجهاد الأكبر .  
ويعلم الله كم جاهدت فى كل الميادين يا رسول الله لتترك لنا  
ثروة ضخمة من الصور المشقة فى رحاب سيرتك لتكون لنا  
هديا ونورا :

---

## الوفاء الجميل

قال تعالى :

( مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ  
وَلَوْ كَانُوا أَولِيَّ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ  
الْجَحِيمِ <sup>(١)</sup> ) .

سأدلى يا رسول الله .

إلى رحابك الطاهرة ألود بمركبي وقد دفعه الحب وساقه الشوق  
إلى كل جميل وثمين من سيرتك العطرة .

وقد ولجت باب رحابك مستأذنا والنفس قد أرقها السهد وأضناها  
الندم فاذا نفحات هديك تشمل دنيانا بعطرها النبوى فتشيع فى النفس  
أملًا ورجاءً يذيب جلاميد اليأس والقنوط .

وإذا كنت قد عرضت بعض صور سيرتك العطرة يا رسول الله  
وكلها تمتلئ وتزدحم بالقيم والمثل والمبادئ فإن هذه الصورة التى بين  
أيدينا على صغرها تحوى أجمل ما فى الوجود من القيم الإنسانية لأنها  
توضح لنا الوفاء الذى لا تبليه الأيام .

---

( ١ ) الآية ١١٣ من سورة التوبة .

والوفاء عندك يا رسول الله قيمة أخلاقية لها جذور عميقة ترتبط  
بالسماء بوشائج وثيقة .

وأنت سليل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

والقرآن يصف إبراهيم بقوله الكريم :

( وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى <sup>(١)</sup> )

ويقول عن إسماعيل :

( إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا <sup>(٢)</sup> ) .

وصدق الوعد فرع من فروع الوفاء .

فالوفاء عندك شيمة أخلاقية وفطرة إنسانية تجرى في دماء آل البيت

رحمة الله وبركاته عليهم منذ عهد إبراهيم الخليل .

فأنت الوفي . ابن الأوفياء .

وما أبجل نفسك الطاهرة تحمل بين حناياها على مدى السنين وفاء

نادرا لمن أدوك إلى الناس وحموك من كفار مكة وشمس الإسلام في بدء شروقها .

ثم ما أبجل هذا الوفاء الذي يصدر عنك يا رسول الله إلى أحب

الناس إليك في دنياك طفلا وشابا بعد أن أكرمك الله بالرسالة ورفع

ذكرك وإذا هذا الوفاء لا يكاد يغنى هؤلاء شيئا .

( ١ ) الآية ٣٧ من سورة النجم .

( ٢ ) الآية ٥٤ من سورة مريم .

لقد بعثك الله بأسمى رسالة نختم بها ديانات السماء .  
وأرسلك هاديا ومبشرا ونذيرا .

وأسرى بك من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

وعرج بك إلى السموات العلى ليربك من آياته وليشهدك وحدة  
الكون الأزلية ولترى وتسمع مالا عين رأت ولا أذن سمعت :

وبعثك ربك بالإسلام دينا تنير به للعالم مصابيح الهداية والرشاد  
وتفتح لأمته أبواب الخير في الدنيا والآخرة ما دامت في ركب الإسلام  
سائرة وتحت ظل الإيمان عاملة .

ولكن كل هذه الرفعة وكل هذا السمو وكل هذه العظمة لا تجدى  
شيئا في موقفين فهما الكثير من الأسى والألم وإن دلا على وفاء كبير  
لا ينضب معينه .

فبعد ست سنوات من هجرتك تخرج من المدينة إلى مكة معتمرا  
إلى بيت الله الحرام والمسلمون في ركابك يسوقون الهدى .

وفما أنت في بعض الطريق عند الأبواء تقف بالركب كله وتعرج  
على قبر تستأذن ربك الكريم أن تزوره فيأذن لك فتجلس أمامه تصلحه  
ويحدوك الأمل فتستأذن ربك الكريم في أن تستغفر لصاحبه فلا يأذن  
لك جل جلاله وعلت قدرته .

وتتصرف عن القبر باكية حزينا ، ويكي المسلمون لبيكائك  
ويحزنون لحزنك :

إنه قبر أمك آمنة بنت وهب .

وقد أهاجت الذكرى أشجانك فرأيت أمك وقد اختطفها الموت  
منك في هذا المكان بعد عودتك معها من زيارة أخوال جدك من بني  
النجار في يثرب ، ويريد رب العزة أن تتركك يتما صغيرا في هذا  
القفر الموحش بعد أن أدتكَ إلى الناس .

وتقف في طفولتك المبكرة ترى أم أيمن حاضنتك وهي توارى  
جثمان الغالية آمنة ، وتشعر بمرارة اليم ولوعة الفراق ، ولتتلقى من  
ربك كيف تتحمل الخطوب وأنت مازلت في أول الطريق .

وتمر الأيام ، ويعزك الله ويشملك بكرمه فيصطفيك ويبعثك رسولا  
نبيا يتم بك نعمته على بني البشر ، فاذا أنت صاحب رسالة ورسول  
دين ، تخرج بجموع المسلمين حاجا إلى بيت الله الحرام عام الحديبية  
تحمل لواء الدعوة الإسلامية ، وترهب أعداء الله بقوة المهاجرين  
والأنصار ومن نفر معك من قبائل العرب ، ويقابلك قبر أمك في بعض  
الطريق فتستأذن في زيارته فيؤذن لك وتستأذن في الاستغفار لها فلا  
بوذن لك .

عدل إلهي وحكمة ربانية لا سبيل إلى إنكارهما ، ومعنى من معاني  
رسالتك السامية يا رسول الله لتحقيق العدل والمساواة لجميع المسلمين  
ولو كانت صاحبة القبر أم محمد رسول الله وخاتم النبيين ، ولو أذن  
لك رب العزة في الاستغفار لأمك لكان للمسلمين هذا الحق .

وكننت وما زلت القدوة لأمتك ، فليكن هذا الدرس العظيم في  
المبادئ والقيم من ربك الكريم هديا لنا ونبراسا لسلوكنا .

وليكن عنوانه عظمة المبادئ وشمع القيم .

وتمر الأيام والسنون وإذا أنت تدخل مكة عام الفتح رافعا أعلام  
التوحيد قاضيا على الشرك والمشركين وقد أتم الله عليك نعمته وأثابك  
فتحا مبينا .

وتجد في مكة أصل قبر تستأذن ربك في أن تستغفر لصاحبه فلا  
يأذن لك جل شأنه .

وتبكي يا رسول الله أمام قبر عمك أبي طالب كما بكيت أمام قبر  
أهلك آمنة بنت وهب .

ما أوفاك وما أخلصك لأهلك يا رسول الله .

وما أروع وفاءك لعمك بعد هذه السنين الطويلة من الجهاد والكفاح  
فلم تنس أنه حماك من أذى قريش وتحمل الكثير من العنت في سبيل  
ذلك .

وقد ألحت عليه قريش يوما أن يتخلى عنك ويسلمك لها فقال لك :  
فابق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق :

وتشفق يومها عليه وتعلم ضخامة ما يتعرض له من الضغط من  
مشركي قريش ، ولكنك تقرر أن لا مجال للإشفاق في مثل هذه  
المواقف الحاسمة فتقول له :

( والله يا عمى لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه "ما تركته" ) .

ويعلم أبو طالب صلابة الحق في مقالك ويشعر بكل معاني الصديق والأمانة والعزم في نبراتك فيقول لك : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء تكرهه أبداً .

وينجح في جمع شمل بني هاشم لحمايتك ضد عدوان قريش ، ويتعرض بذلك لشتى أنواع العنت والإيذاء .

وتمر الأيام والسنون ويكرمك الله بنصره يوم فتح مكة فيدعوك وفؤادك إلى طلب الاستغفار له فلا يأذن لك المولى جل شأنه .

عدل ومساواة لا استثناء فيهما ولا مجاملة ولو كان صاحب الحاجة نبي الله ورسوله .

ولنا أن نستعرض هذه الصورة مرة ثانية لنستنتج منها العبر والعظات ولنرى كيف تكون المثل العليا لبني البشر وهذا حظك يا رسول الله حين أردت أن تستغفر لعمك وأهلك وقد ماتا على غير دينك الذي جعل الناس جميعاً أمام الله سواء في الحقوق والالتزامات ووضعهم في ميزان دقيق بالنسبة لأموال العقيدة :

فرغم أمومة أمنة لأشرف نبي وأكرم إنسان .

وعمومة أبي طالب لنبي الرحمة ورسول الإحسان .



ورغم تأريخ المسلمين لوفاة أبي طالب مع السيدة خديجة بعام الحزن لما نالت قريش منك يا رسول الله من الأذى ما لم تكن تناله في حياة عمك ، فإن هذا كله لم يشفع لهما في موقف لم تؤد فيه غير واجب الاستغفار لأحب الناس إليك ، أملك التي أوتك إلى الدنيا تؤدى فيها أمانة الرسالة التي انتدبك لها رب العزة .

وعمك الذى ساندك وحماك في مطلع دعوتك وسياط الوثنية تلهب ظهور المستضعفين الذين لبوا دعوتك وأجابوا ندائك لم يثنه عن ذلك قسوة الإحصار الوثني المدمر الذى أعماه الحقد وذهبت بصوابه العصبية الجاهلية .

وهو درس رفيع لأمة الإسلام وقادتها ليروا موقف النساء من المحاربة والمجاملات التي تأكل الحقوق وتقضى على العقيدة وتجعل القيم الأخلاقية كالأثار الدارسة .

وما أحوجنا ونحن نخوض فترة من أقسى فترات تاريخنا أن نستلهم هذا الخلق النبوي ونحذو حذوه ونسير على نهج هذا التشريع الذى أنى عليك يا رسول الله وعلى المؤمنين جميعا أن يستغفروا لمن مات لهم على الشرك ، ولو كان منهم أملك آمنة بنت وهب أو عمك أبو طالب .

وفى هذا يقول جل شأنه :

( مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ

— ١٩٢ —

الْجَحِيمِ . وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا  
لِإِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ <sup>(١)</sup> .

تباركت يارب حكمتك .

وجلت قدرتك .

لك العتي حتى ترضى .

ولا حول ولا قوة إلا بك .

---

( ١ ) الآيتان ١١٣ ، ١١٤ من سورة التوبة .

## يٰٓاَيُّهَا النَّبِيُّ

قال تعالى :

( يٰٓاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي كَيْدٍ مَّرْضٍ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا )<sup>(١)</sup> .

وتلك صورة إنسانية بالغة الروعة في رحابك يا رسول الله قد نرى لها مثيلا في كل بيت ، ولكن عظمتك الإنسانية لانجدها عند كل الناس لأنك المثل والقودة والأسوة الحسنة :

فأنت في بيتك رسول السماء ونبي الله ومثل انسمو الأخلاق في كرم الطباع وسعة الصدر ورفق المعاملة . والسماء دائما ترعى هذا كله وتنسبه وتزيده صلة بمعاملات البشر ، لتربط الأخلاق بالدين ليكون منبعها السماء ومنهجها القرآن .

فالأخلاق هنا ترتبط دائما بالقيم الدينية وتقوى الله وحبه وطلب رضاه وهو ما عملت دائما على غرسه يا رسول الله لنجنى ثماره ونحصده خيره .

( ١ ) الآية ٣٢ سورة الأحزاب .

وما أبعد هذه المفاهيم العلوية التي تنبع من هديك وسلوكك بتلك المفاهيم التي تربط الأخلاق بالمجتمع أو تربطها بالمصلحة العامة أو تربطها بالفرد أو تربطها بالمذاهب والعقائد الوضعية .

إن الولاء هنا سيكون لغير الله فاطر السموات والأرض .  
وحاشا لله أن يكون ذلك نهجنا أو تلك دروبنا التي نسلكها إلى تقوى الله .

أسوق هذا الحديث بين يديك ياسيدى يارسول الله لأننى ما وجدت لك موقفا إنسانيا يرتبط بزاوية أخلاقية أو سلوكية تجعله يجرى على غيرك كما يجرى عليك إلا ورأيت السماء تمدك بهديها وترسم لك الأسس والقواعد وتخط المسالك والدروب لنرى كيف يكون التصرف فى مثل هذه المواقف العارضة فى حياة البشر وقد تزيدنا علما فتضع الحدود للمخالفات أو تشرح ماخفى علينا من حكمة الأفعال .

وقد رأينا ذلك فى قصة الإفك وقصة زينب بنت جحش وغير ذلك كثير فى رحابك يارسول الله .

والصورة الإنسانية هنا تعرض لنا الجلال فى بيتك وبين نسائك وكيف أن السماء لم تغفل عينيها عن سلوكهن حتى يكن المثل الصالح لنساء المسلمين .

فها هو الوحي ينزل ليضرب الحجاب على نساء المسلمين فيبدأ  
بنسائك أولاً :

( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ  
عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ  
غَفُورًا رَّحِيمًا )<sup>(١)</sup> .

ثم نرى العلي القدير يكرمهن بأجل الكرم ويؤثرهن بأكبر نصيب  
من الفضل الإلهي حين ينظم لمن التعامل مع هذا السيل الخارف من  
البشر الذين كانوا يغدون على بيتك يارسول الله يتجادبون أطراف  
الحديث وأنت تستحي منهم وأكن الله لا يستحي من الحق ثم يقرن ذلك  
كله بالنهي القاطع عن زواج نسائك من بعدك وهو غاية الكرم من الله  
جل شأنه وفضل منه عظيم . ففي ذلك يقول الله تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ  
لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا  
طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْتَسِينٍ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى  
النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ  
مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ . . ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

وَقُلُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا  
أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (١١) .

ورغم هذا الكرم الرباني فقد كنت دائما الزوج العادل والأب  
الرحيم والأخ العطوف ويكون ذلك كله سبيلا إلى أن تناقشك زوجاتك  
ويراجعنك في بعض أمور دنياهن ٥ حتى عمر بن الخطاب يناقش  
مرأته ذات يوم وإذا بها تقول له : عجبا يا بن الخطاب أما تريد أن  
تراجع أنت . وأن ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى  
يظل يومه غضبان .

وتثور نفس عمر لما سمع عن حفصة ابنته وكيف تراجعت يارسول  
الله فيأخذ رداؤه ويخرج حتى يسألها ويقول لها :  
-- يا بنية إنك لتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل  
يومه غضبان ؟

فتقول له ابنته : والله إنا لتراجعه ٥

فيقول لها عمر ناصحا محذرا : تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب  
رسوله ، يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم إياها .

ويتركها ويدخل إلى أم سلمة زوجك يارسول الله وقرينة عمر فيقول  
لها ويحدثها بمثل ماحدث به ابنته حفصة ، وترد عليه أم سلمة : عجبا

يا بن الخطاب ، قد دخلت في كل شئ حتى تبتغى أن تدخل بين  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه .

ونمر الأيام . . .

ويستأذن عمر وأبو بكر عليك يا رسول الله فتأذن لهما . وقد جلست  
بين نساءك وقد علا الحزن وجهك الكريم . فيعلمان بفصرتهم السليمة  
ما يكون قد عكر صفوه . فيحاولون عمر أن يسري عنك فيقولان :

لأقولن شيئاً أضحك النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله . لورأيت  
بنت خارجة — زوجة عمر — سألتني النفقة فقلت إليها فوجأت --  
أى ضربت عنقها .

وتضحك يا رسول الله وأنت تقول : هن حون يسأني النفقة .

فيقوم الصديق ويضرب عنق عائشة ، ويقوم عمر ويضرب عنق  
حفصة ، وهما يقولان : تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس  
عنده .

سبحان الله . . !

نبي الإسلام ، خاتم النبيين والمرسلين ورافع أعلام التوحيد ومحطم  
الوثنية لا يملك من مباحج الدنيا المادية ما يستطيع به أن يسعد هؤلاء  
الزوجات :

وفى هذا يقول جل شأنه يكبح جماح دنياهن :

( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا  
وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا \* وَإِن كُنْتُنَّ  
تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ  
أَجْرًا عَظِيمًا ) (١) .

وتمر الأيام . . .

وتدخل عند إحدى نساءك فتأكل شيئا من العسل أو بعضا من الحلو  
وتطيل عندها المكوث وإذا بهولاء الزوجات يتواطأن على أن من تدخل  
عليها أولا فلتقل لك : إني لأجد ريح مغاير وهو شيء حلو له رائحة  
كريمة وما كان أبغض إليك من الرائحة الكريهة .  
وإذا الأمور تنتهى إلى ما أردن .

فتدخل على إحداهن فتقول لك يا رسول الله ما اتفقن عليه .  
فترد بأنك ما شربت إلا عسلا أو ما أكلت إلا حلوا ولن تعود إليه .  
وتدخل على أخرى فتقول ما قالت الأولى : وتجب عليها نفس  
الإجابة .

وتقوم عائشة وحفصة وسودة رضى الله عنهن جميعا بكل هذا حتى  
ينتهى بك الأمر إلى تحريم ما أكلته على نفسك .

---

(١) الآيتان ٢٨ ، ٢٩ من سورة الأحزاب .



وتذهب حفصة يوما إلى بيت أبيها لشأن من شئونها وتعود لتجد مارية معك في دارها فتجلس تنتظر خروجكما وقد أكلتها الغيرة ثم تخرج مارية أم إبراهيم فتندفع حفصة إليك وهي تقول : لقد رأيت من كانت عندك والله لقد سبيت وما كنت لتصنعها لولا هوانى عليك .

وتعلم يارسول الله ما فعلت الغيرة بحفصة وما يكن أن تفعله بعائشة وغيرها من نساءك من أمهات المؤمنين لو أذاعت حفصة ما حدث وخاصة وهن يغرن من مارية لأنها أم إبراهيم ابنك منها .

فأمر إلى حفصة ألا تحدث إحداهن بشئ من كل هذا الذى دار ، ثم تحلف لها بأن مارية حرام عليك بعد ذلك إرضاء لها وإطفاء لنار الغيرة فى قلبها ولكن حفصة لا تستطيع كتمان السر فتخبر عائشة وتشيع القصة كلها بين زوجاتك ويتخذنه ذريعة لزيادة غيرهن من مارية أم إبراهيم ثم يبعثن زينب بنت جحش إليك لتقول لك إنك لا تعدل بينهن ثم تدور مناقشة عنيفة بين زينب وعائشة أمامك يارسول الله وتشهد هذه المنازعات بين نساءك تدور أمامك تدل على الحرية داخل المنزل بينك وبين زوجاتك ثم تدلنا على سعة صدرك وسمو خلقك فتعلم أنه لا بد من درس يعلمهن أنهن لسن ككل النساء وأنهن زوجات رسول وفى بيت نبوة وأن دنياهن أضيق من أن تسع لمثل هذه ، المشاحنات التى تعكر صفو الهدوء العائلى فى وقت أنت أحوج إليه . يارسول الله لنشر الدعوة .

وإذا بك يا رسول الله تقرر هجر أزواجك كلهن ويستمر هذا  
الهجر شهرا كاملا وقد ذاع بين المسلمين أنك تسرحهن سراحا جميلا .  
وتخلو إلى رسالتك بعد أن أفاء الله عليك بعد فتح مكة توسطد  
أركانها وترسى قواعدها .

ولكن المسلمين يحزنون لحزنك ويألمون لألمك ولا يجرواى منهم  
على أن يفتحك في موضوع نساءك ، ويشيع بين المسلمين أنك  
ستطلقهن وهنا يندمن ويحزن وتأكلهن الحسرة والألم والندم لإغضابك  
يا رسول الله ، وإضاعة وقتك الثمين في فترة دقيقة من فترات الدعوة  
الإسلامية .

ويأتيك عمر بن الخطاب يرفع صوته بالاستئذان مناديا غلامك  
رباح رافعا صوته حتى تسمعه :

يارباح ! ! استأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يظن  
أنى جئت من أجل حفصة ، والله لئن أمرنى بضرب عنقها لأضربن  
عنقها .

وتأذن له يا رسول الله ، فيدخل عمر ويهكى حين يرى الحبيب  
الذى تنام عليه وقد ظهرت آثاره على جنبك .

ويرى معك قبضة من شعر هى زادك فى مقامك هذا بعيدا عن  
أهل بيتك .

ويقول لك عمر : يا رسول الله . ما يشق عليك من أمر النساء ؟  
إن كنت تطلقهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا  
وأبو بكر والمؤمنون جميعا .

وما زال يحادثك يا رسول الله حتى سرى عنك وعادت الابتسامة  
إلى وجهك الكريم وهنا يجد عمر فرصة يسألك عما يدور بين المسلمين  
من طلاق نساءك ، فتطمثنه أنك لم تطلقهن فيستأذن في نشر الخبر  
بين المسلمين فتأذن له .

فيخرج عمر إلى المسجد وينادى بأعلى صوته : إن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساءه .

وهنا بعد هذا الهجر الجميل والدرس الواعي ينزل وحى انشاء  
بحسب الموقف ويهذب السلوك ويضع المعالم على المسالك والدروب  
حتى لا تشرذم النفوس فيقول :

( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ  
أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ  
مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ \* وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ  
حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ  
بَعْضٍ \* فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ  
الْخَبِيرُ \* )

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ  
ظَهِيرٌ \* عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ  
مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنِتَاتٍ تَتَذَكَّرْنَ عِدَاتٍ سَخِرَتْ نَيْبَاتٍ وَأَبْكَارًا (١).

وهنا يعود للنسائك رشدهن ويعلمن أنهن لسن كنساء العالمين لأنهن  
أزواج نبي كريم يخبرهن بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة فيخترن الله  
ورسوله وجزاء الآخرة ويكن أهلا لقوله تعالى :

(يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَآخِذٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ  
بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا \* وَقَرْنَ  
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ  
وَمَاتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ  
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٢).

وهذا ما أراد الله جل شأنه للنسائك يارسول الله .

(١) الآيات ١ - ٥ من سورة التحريم .

(٢) الآيتان ٣٢ ، ٣٣ من سورة الأحزاب .

— ٢٠٣ —

والله سبحانه وتعالى يشد أزرك ويهديك دائماً إلى ضيق خق  
والرشاد .

وطوبى لك يا رسول الله .

والله هاديك وجبريل مبلغك .

وطوبى للمؤمنين الذين يستظلون بظل القرآن . وينهجون نهجك ،  
ويلتمسون في رحابك أمثلة يحتذونها . ودروسا يعملون بها . وهديا  
يسرون في ركابه ، ونورا يهتدون به في ظلمات الدنيا . من قبل  
أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال .

---

## الوداع أيها الناس

قال تعالى :

( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا )<sup>(١)</sup> .

إنها صورة تثير في النفس اللوعة والألم والحزن .

صورة الوداع ، لأنها تحوى خطبة الوداع .

ولا أستطيع أن أعلق عليها يارسول الله لأنها أبلى من أن يعلق عليها إنسان : كان اليوم يوم الحج الأكبر .

وقد أفاء الله عليك نعمة النصر والفتح ، وهدى بك أمة العرب وترك بين يديها كتابه الكريم لتفتح به آفاقا جديدة يريد الله أن تبلغها حتى آخر الزمان .

وقد قمت على ناقتك القصواء فحمدت الله وأثنت عليه وناديت المسلمين بصوتك الجهوري وقد جعلت ربيعة بن أمية بن خلف يردد كل مقطع من مقاطع خطبتك ؟

( يأيها الناس . اسمعوا قولي<sup>٢</sup> فإنني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعدد عامي هذا بهذا الموقف أبدا ) .

---

( ١ ) من الآية ٣ من سورة المائدة .

بأيها الناس . إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا  
 ربكم كحرمه يومكم هذا وكحرمه شهركم هذا .  
 وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت .  
 فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .  
 وإن كل ربا موضوع ولنكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون  
 ولا تظلمون :

قضى الله أنه لا ربا وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله .  
 وأن لا كل آدم كان في ابخاهنية موضوع وأن أول دمائكم أضع  
 دم ابن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب .  
 أما بعد أيها الناس . فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم  
 هذه أبدا : ولكنه إن يقطع فيها سوى ذلك فقد رضى به مما تعفرون  
 من أعمالكم فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ، إن النسوة زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا  
 يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم  
 الله ويحرموا ما أحل الله .

وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .  
 وأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متوالية  
 ورجب مفرد الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد ، أيها الناس ، فإن لكم على نساءكم حقا ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة . فان فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

فاعقلوا أيها الناس قولي فإنني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا : كتاب الله وسنة رسوله .

أيها الناس . اسمعوا قولي واعقلوه . تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم .

اللهم هل بلغت ؟ .

ويجب الناس بصوت تردده الدنيا : نعم .

فتقول لهم : اللهم اشهد . .

وتنتهي من خطبتك — خطبة الوداع — فتزل عن ناقتك وتم مناسك حجك .



ويزيل الوحي بقوله تعالى :

( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا )<sup>(١)</sup> .

وبهذه الصديق أبو بكر فقد علم تمام الرسالة وأن لقاءك لربك قد حان .

وتنتهى حجة الوداع . وتودع البيت الحرام ومكة كلها وتعود إلى المدينة التي نصرته وأزرتك وقد قلت لأهلها : ( الحيا حياكم والمسات ممانكم ) . .

وترجع إلى المدينة ليكون الوفاء لها حيا وميتا .

وقد انتشر الإسلام في ربوع الجزيرة العربية ودخل الناس في دين الله أفواجا وهم ينظرون إليك كصاحب السلطان الديني والسياسي لتلك الأمة الناشئة . أمة الإسلام ، ولكنتك ياسيدي يا رسول الله مازلت تحلب شاتاك وترقع ثوبك وتخصف نعلك ، وتخدم نفسك ، وتأكل طعامك مع خادمتك . ولم يتسلل إلى نفسك الصافية في أية لحظة قدر ولو ضئيل لمظاهر السلطان أو حب الاستعلاء وأنت صاحب كل هذه الأبعاد التي روينا جزءا منها فيما سبق من كلمات فما زلت القدوة الحسنة والأسوة الصالحة لأمتك حتى آخر الزمان ، تلبى دعوة العبد

( ١ ) من الآية ٣ من سورة المائدة .

كما تلبي دعوة الحر وتعطف على الأمة واليتيم والمسكين وما زلت  
كما قالت لك رفيقة الكفاح الأولى سيدة نساء المسلمين خديجة بنت  
خويلد : تصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل  
الكل وتقوى الضعيف وتعين على نوائب الحق ؟

ثم زادتلك الرسالة علما وهديا من ربك العزيز الحكيم .  
وقد انتهت سفارة جبريل الأمين بين السماء والأرض وعرض  
المكتاب عليك كما أراد له رب العزة أن يكون .

وتمت رسالتك يا رسول الله ؟  
رسالة تلقى القرآن وتبلغه للناس ؟  
ورسالة الأسوة والقدوة والأعمال والأقوال ؟  
فيحفظ لنا التاريخ صفحات لا نكاد نعثر على مثيل لها من مآثور  
الأقوال ؟

واستأذنتك في إيراد بعض أمثلة تهذيبك لنا من درر كلماتك  
وحديثك :

أقول يا رسول الله عن الثوبة :  
( والذي نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون  
ويستغفرون فيغفر لهم ) .

وتقول في حسن الخلق وجمال العشرة ولين الجانب :

(أتدرون ما المفلس . قالوا المفلس منا من لا درهم له ولا متاع ،  
فتقول : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام  
وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا  
وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت  
حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم  
طرح في النار ) ؟

وتروى لنا عن ربك في حديث قدسي رائع عظيم دستور التعامل  
مع دنيا الله :

يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا  
تظالموا :

يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم .

يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم .

يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ؟

يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً  
فاستغفروني أغفر لكم .

يا عبادي إنكم لن تبغوا ضري فتضرروني ولن تبغوا نفعي فتنفعوني .

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى

قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً .

ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر  
قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا .

ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد  
واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى  
إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر .

ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم إياها من وجد  
خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

ونحن نستطيع بهدى هذه الأنوار التى طلعت علينا من شوارق  
نفحاتك ياسيدى بارسول الله أن نسرد بعض درر مقالاتك التى عثرنا  
عليها وسط آلاف الدرر المتألثة فى رحاب سيرتك والتى تأدب بها  
صحابتك وطلعت علينا رغم مرور القرون بجمال بريقها وبلاغة صياغتها  
لتكون لنا أمثلة نتخذى للبلاغة من ناحية ولخاصن محتواها من ناحية  
أخرى .

هذه الدرر التى بنيت بها مجتمعتك الإنسانى المثالى فى مدينة هجرتك :

تقول بارسول الله :

لا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له .

الناس معادن .

رحم الله عبدا قال فغنى أو سكت فسلم .

ذو الوجهين لا يكون وجيها عند الله .

— ٢١١ —

إن أحببكم إلى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا  
الموطنون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ٥

اتق الله حيثما كنت - واتبع السيئة الحسنة تمحها . وخالف الناس  
بخلق حسن .

الظلم ظلمات يوم القيامة .

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن  
بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر  
فليقل خيرا أو ليصمت .

كل معروف صدقة .

لا يدخل الجنة قتات . أى نمسام .

الحياء لا يأتى إلا بخير .

إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى :

إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٥

ليس الشديد بالصرفة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب .  
 إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتبه عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور  
 وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتبه عند الله كذاباً .

من لا يرحم لا يرحم .  
 ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة .

طعام الإثنين كافى الثلاثة وطعام الثلاثة كافى الأربعة .  
 ولا يكفى مقامى هذا لسرد المريد من جميل قولك وبلغ حديثك  
 الذى أدبت به أمة وأشدت ديناً وأقامت دنياً على أساس متين من  
 العقيدة الصحيحة والأخلاق القويمة .

\* \* \*

وتبقى فى المدينة تفكر فى أمر الدعوة خارج الجزيرة العربية فتبدأ  
 فى تجهيز جيش أسامة بن زيد لترد للإسلام هيئته بعد غزوة مؤتة .  
 ولكن المرض يشتد عليك يارسول الله .  
 وإذا بك ذات ليلة تصطحب مولاك أبا مويهبة إلى البقيع حيث  
 مقابر المسلمين بالمدينة فتقول له :

(إني أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي) :

وتقف مع مولاك يارسول الله وتخطب في أهل البقيع .

(السلام عليكم يا أهل المقابر ، لينهى لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى) .

ثم تستغفر لأهل البقيع الراقيدين تحت الثرى .

وتعود مع مولاك وتقول له :

يا أبا مويهبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة .

فيقول أبو مويهبة : بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة .

ولكنك تجيبه يارسول الله : لا يا أبا مويهبة : لقد اخترت لقاء ربي والجنة .

وتحين لحظة ما نظن أن مثلها مر بالعالم في أزليته الخالدة لحظة / تشابه لحظة نزول الوحي يوم غار حراء حينما أنزل عليك ربك :

(اقرأ)

. تلك هي لحظة تلقى ربك في حجرتك تلك التي تجاوز مسجداك يارسول الله ، والمسلمون ينتحبون يأكلهم الحزن والأسى ويعتصرهم ألم الفراق .

وأى فراق هذا ؟

لأنه فراق نبوتك وجميل خالقك ، أنت صاحب الرسالة ، وراع  
لواء التوحيد ، وسفير السماء لأهل الأرض ، أنت النبي الإنسان  
البار بهم الهادى لهم .

وتروى السيدة عائشة فتقول :

وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل فى حجرى فذهبت  
أنظر فى وجهه فاذا بصره قد شخص وهو يقول ( بل الرفيق الأعلى  
من الجنة ) قلت خبرت فاخترت والذى بعثك بالحق .

واخترت الرفيق الأعلى يا رسول الله . وخيرا ما اخترت .

فما كان لمثلك رفعة وسما ووفاء وصدقا لربك أن تعاد بما اخترت  
مفاتيح خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة .

إنها روحك الظاهرة السامية ما أكرمها وما أعلى مقامها لسان  
بارئها .

وصدق على بن أبى طالب رضى الله عنه حين قال لك وأب  
مسيحي أمامه : بأبى أنت وأبى يا رسول الله ما أطيبك حيا وميتا .

ما أطيبك ياسيدى يا رسول الله حيا وميتا .

ويكفينا طيبك يفوح علينا عبر القرون لا تبلى الأيام جمال ريحه .



— ٢١٥ —

وتسكنينا سيرتك العطرة الطاهرة نراها كلها أمثلة تختدى :  
فعلى طريق المحبين ودروب العاشقين نسير إلى رياض سيرتك لعلنا  
ننعم بعبيق جنانك وجمال غرسك  
وما أجمل كرمك .  
وما أجمل جهادك .  
وما أجمل خلقك .  
وما أوسع رحابك ياسيدى يارسول الله .



## رجاء

يا أبا الزهراء :

رجائي ألا أكون قد تناولت في مقام حضرتك ومجال سيرتك .  
فما دفعني إلى الحديث إلا كرمك النبوي وهذا الأمل الذي راود  
نفسا أرقها بالسهد وأضناها بالندم ، فلجأت إلى رحابك تنعم بنفحات  
هديك :

وما أبجل حديثك :

( طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وآمن بي ) .  
ونحن لم نرك يارسول الله ولكننا آمننا بك وأحببناك .  
والله ندعو دائماً أن يجعلنا من المتبعين لسننك ، السائرين على  
نهجك السالكين على دربك .

وقد استأذنت قبل أن ألج رحاب سيرتك الطاهرة .  
وأجد من واجبي أن أستأذن مرة أخرى وأنا أقطع هذا الحديث  
الروحي مع سيد الأنام :

وأمل رضاك ، ورجائي شفاعتك .

وسيطل الحب مركبنا إليك .

والشوق دربنا إلى رحابك :



## الفهرس

الموضوع	صفحة
١ - تقديم لفصيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيبصار الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية...	٥
٢ - رأى...	٩
٣ - استئذان	١٧
٤ - أول اللقاء	٢١
٥ - فاستقم كما أمرت	٤١
٦ - واذكر ربك إذا نسيت	٥٦
٧ - مازاغ البصر وما طغى	٦٨
٨ - لا نخزن أن الله معنا	٨٠
٩ - درس الجهاد	٩٤
١٠ - درس الفداء	١١٣
١١ - درس الشهادة	١٢٤
١٢ - ويوم حنين	١٤١
١٣ - فلما قضى زيد منها وطرا	١٥٩
١٤ - تصلة الإثك	١٧٤
١٥ - الوفاء الجليل	١٨٥
١٦ - يانساء الذبي	١٩٣
١٧ - الوداع أيها الناس...	٢٠٤
١٨ - رجاء	٢١٧



## كلمة الإشراف

نزيلى القارىء

أياماً معدودة ونستقبل الشهر المبارك الذى تشرف بمولد سيد  
المرسلين وخاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليه وفي الأمواج  
الأولى من قبس النور الربانى الذى كرم الله به نبيه الحبيب  
نعيش هذه الأيام الصادقة والمناسبة الكريمة فى رحاب سيرته  
صلى الله عليه وسلم نتأمل ونذكر ونعتبر لكل ماجرى ودار من  
آيات خالديات وأحداث غيرت مجرى التاريخ الإنسانى بفضل  
هذا النبي العظيم ورسولها الأمين .

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى  
الله بإذنه وسراجاً منيراً ، و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً  
كبيراً » .

“ صدق الله العظيم ”

طاعت غنام







## المؤلف في سطور

- من مواليد الدبلجون مركز كفر الزيات محافظة الغربية عام ١٩٣٠ م .
- حصل على بكالوريوس العلوم العسكرية عام ١٩٥٠ م .
- عمل بالقوات المسلحة ، وتدرج في كثير من المناصب بها وعمل في كل من سوريا واليمن .
- يعمل الآن مديرا بالجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء .
- له كثير من المقالات في الصحف والمجلات الأدبية والإسلامية .
- من مؤلفاته :
- ١ — ( وعد الله ليس لبني إسرائيل . )
- ٢ — ( دين وثورة ) — تحت الطبع .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الإدارة

علي سلطان علي

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٩٦ / ١٩٧٣

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٣٠٠٢ ١٩٧٣/٢٦٨١



بسم الله الرحمن الرحيم

نرفعوا العلم للعلم

في شهر ربيع الأول ١٣٩٣ هـ

كتاب من فيض الرسالة

نائب

فضيلة الشيخ إبراهيم أبو الحشب

Bibliotheca Alexandrina



0361517